لغز الزائر الغامض



محمود سالم

لغز الزائر الغامض

تأليف
محمود سالم



لغز الزائر الغامض

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٥٢٩ ٦

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

لغز نموذجي

وضع المفتش «سامي» ساقًا على ساق وقال: هذا لغز من النوع الذي تفضِّلونه؛ إنه حادث سرقة غامض ... يقع في مكان واحد ... والمتهم ثلاثة أشخاص ... والمسروقات مجموعة من المجوهرات النادرة بينها عِقد من اللؤلؤ الأحمر ... وكما تعرفون أن اللآلئ كلها بيضاء ... ومن النادر جدًّا العثور على لؤلؤة ملوَّنة.

قالت «لوزة» وهي تبتسم ابتسامةً واسعة: لقد أثَرت شهيَّتنا يا سيادة المفتش، أرجوك قُل لنا الحقائق كلها بسرعة ... فإنني لا أستطيع الانتظار ...

قال المفتش: وكيف يمكن أن أروي لكم الحقائق كلها دون أن أتناول كوب عصير الليمون وفنجان القهوة ...

صاحت «لوزة»: يا لي من فتاة بلهاء ... كيف نسيت هذا؟!

وقفزت مبتعدةً وهي تقول: ولكن لا بد أن تَعِدني أولًا أنك لن تروي لهم شيئًا قبل أن أعود ...

وابتعدت ... وضحك الأصدقاء الذين كانوا يحيطون بالمفتش «سامي» في حديقة منزل «عاطف»، وقد أرهفوا آذانهم لِما يقول ... ولكن المفتش — احترامًا لوعده لـ «لوزة» — قال: فلْيقل لنا «عاطف» شيئًا مسليًا حتى تعود «لوزة» ... ردَّ «عاطف» وهو يعتصر جبهته: آسف جدًّا ... إنني مصاب بصداع بعد نزلة البرد التي أصابتني طوال الأسبوع الماضي ... وليس هناك حل إلا أن تضحكوا عليَّ أنا شخصيًّا ...

قال «محب»: إن شكلك درامي جدًّا وأنت تلبس هذه الملابس الثقيلة في هذا الحر المرهق ...

عاطف: إنها تعليمات والدتي ... وهي في حكم الأوامر العسكرية، لا يمكن مخالفتها ...

وابتسم المفتش «سامي» وقال: هكذا أنتم أيها الأولاد دائمًا ... تبدو لكم تعليمات الآباء والأمهات كأنها أوامر عسكرية ... وتنسَون أنها كلها لمصلحتكم ... ومن أجلكم ...

وعادت «لوزة» في هذه اللحظة تحمل كوب الليمون، وهو يهتز في يدها ويكاد يسقط على الأرض ... فصاح بها شقيقها «عاطف»: على مهلك! ...

لوزة: اسكت أنت ... إن الألغاز الغامضة قد تظل غامضةً إلى الأبد بسبب دقيقة واحدة ضائعة ... ومن يدري لعل اللص الآن يختفي ونحن جالسون هنا نتحدَّث.

المفتش: معكِ حق يا «لوزة» ... إنه لغز من أغرب الألغاز التي مرَّت بي في حياتي الطويلة ... برغم أنه لغز بسيط ...

تحدَّث «تختخ» لأول مرة قائلًا: كثيرًا ما يكون أبسط الأشياء هو أشدها غموضًا ...

عاطف: هذه فلسفة يا أستاذ ...

لوزة: دعونا من هذه المناقشات ... وهذا كوب العصير الذي تفضِّله يا سيادة المفتش ... وستأتي الشغَّالة بفنجان القهوة بعد عشر دقائق بالضبط ...

قال «المفتش» بعد أن رشف رشفةً عميقةً من كوب العصير: أظنكم تسمعون عن المالي الكبير المهندس «سامح صديق» ...

قال «محب»: طبعًا ... إنه يسكن في شارع ١٩ في قصر عظيم تحيط به حديقة رائعة ... فقد ذهبتُ مع بعض زملائي في المدرسة إليه مرةً ليتبرَّع لمعونة الشتاء ... وقد تبرَّع فعلًا بمبلغ ضخم ...

المفتش «سامي»: إن «سامح صديق» هو الضحية ... أقصد هو الذي سُرقت منه مجموعة المجوهرات ... ومن بينها كما قلت لكم عِقد من اللؤلؤ الأحمر نادر المثال ...

وسكت المفتش لحظات ... ونظر إلى وجوه الأصدقاء فوجدهم جميعًا ينظرون إليه باهتمام، وقد أرهفوا آذانهم لسماع تفاصيل السرقة ... فقال: منذ ثلاثة أيام كان المهندس «سامح» في انتظار صديق له قادم من إنجلترا ... وكان المهندس «سامح» قد تعرَّف بالرجل ويُدعى مستر «روجر كولي» في إحدى رحلاته إلى الخارج، وعَرف أنه وكيل شركة عالمية من شركات البناء ... وبالطبع فإن المهندس «سامح» وهو مهندس إنشاءات يعرف الشركة ... وقد عرف «سامح» من «روجر» أنه يريد زيارة مصر لأن شركته تريد القيام باستثمارات في البناء فيها ... فدعاه «سامح» لزيارته عندما يحضر إلى القاهرة ... وأعطاه عنوانه في المعادي، وأرقام تليفوناته في المكتب والمنزل ليتصل به عندما يحضر ...

ورشف المفتش «سامي» من كوبه، ومدَّ ساقَيه إلى الأمام وقال: وفي صباح يوم الأربعاء الماضي خرج المهندس «سامح» للمرور على بعض المشروعات التي يقوم بها في مصر

الجديدة ... وفي الساعة الواحدة ذهب إلى مكتبه في ميدان التحرير، فقالت له سكرتيرته إن مستر «روجر كولي» قد اتصل به، وأنه موجود في القاهرة ويريد أن يراه ... وأنها لم تستطِع معرفة عنوانه في القاهرة؛ لأن خط التليفون انقطع في أثناء المحادثة ... واتصل المهندس «سامح» بمنزله في المعادي ... وقال لزوجته أن تحدِّد موعدًا الساعة السابعة مساءً للمستر «روجر» في المنزل ... إذا اتصل بها ...

كان المغامرون الخمسة ينصتون في انتباه ... وهم يسجِّلون في أذهانهم المعلومات ... فترتيب المعلومات من أهم وسائل حل الألغاز ... وتناوَل المفتش «سامي» الرشفة الأخيرة من كوب العصير، ثم مضى يقول: وغادر المهندس «سامح» مكتبه في الثانية ظهرًا ... واستقلَّ سيارته إلى المعادي ... ولمَّا وصل إلى منزله ... قالت له زوجته إن مستر «روجر» قد اتصل، وأنها حدَّدت له الموعد في السابعة كما قال زوجها ...

وجاءت الشغَّالة بفنجان القهوة ... وتوقَّف الحديث قليلًا، ثم مضى المفتش يقول: وقرَّر المهندس «سامح» أن يستقبل الضيف في قاعة المكتبة في منزله ... وهي قاعة واسعة تقع في الدور الأرضي من الفيلا الكبيرة التي يسكنها المهندس «سامح» ... وتُطل المكتبة على الحديقة الواسعة المترامية الأطراف ...

قال «محب» مُقاطعًا: إنها أشبه بغابة صغيرة ...

قال المفتش «سامي»: فعلًا ... فإن المهندس «سامح» وهو لم ينجب أطفالًا ... يحب الأشجار والأزهار والكلاب ... وقد حوَّل حديقته إلى غابة أفريقية ... وجلب لها من الأشجار والأزهار ما لا يخطر على البال ... كما أنه يربِّي مجموعةً من كلاب الحراسة تجعل من الفيلا قلعةً حصينةً يصعب اقتحامها ...

وفي السادسة والنصف نزل المهندس «سامح» إلى غرفة المكتبة، حيث أشرف على إعداد حفل شاي صغير للضيف ... نظرًا لارتباط زوجته بموعد سابق ... فقد خرجت في السادسة لحضور اجتماع لجنة النشاط النسائي في نادي المعادي ...

وزاد انتباه المغامرين لحديث المفتش ... فقد اقتربت اللحظات الحاسمة من الحديث، وكأنما أدرك المفتش «سامي» هذا ... فتمهَّل قليلًا، ثم مضى يقول: وفي السابعة تمامًا كان كل شيء معدًّا ... وجلس المهندس «سامح» في انتظار ضيفه، ولكن الوقت مضى دون أن يحضر ... وفي السابعة والنصف خرج المهندس وطلب من بواب الفيلا أن يتجوَّل حولها ... لعل الضيف لم يستطِع العثور على العنوان ... ثم خرج المهندس يتجوَّل في حديقته مع بعض كلابه ... وطلب من السفرجي «فتحي» أن يكون في انتظار الضيف إذا حضر ... وأن

يطلب منه الانتظار إذا لم يكن هو قد عاد بعد ... فإذا حضر الضيف فعلى السفرجي أن يسرع باستدعائه من الحديقة ...

قالت «لوزة» مقاطعة: لم أفهم هذه النقطة جيدًا ...

المفتش: سأُعيد شرحها ... المهندس «سامح» سيخرج للتنزُّه في الحديقة مع الكلاب ... إذا حضر الضيف، على السفرجي «فتحي» أن يطلب منه الانتظار في قاعة المكتبة ... ويسرع لإبلاغ المهندس بحضور الضيف ...

لوزة: واضح الآن ...

المفتش: وعلى حسب أقوال السفرجي «فتحي» إنه ظلَّ منتظرًا نحو نصف ساعة ... ثم سمع خطوات مقبلة ... وأسرع لاستقبال القادم ... فوجد شخصًا قادمًا تبدو عليه ملامح الأجنبي؛ فهو أشقر الشعر ... أحمر الوجه ... أزرق العينَين ... ولاحظ أنه يعرج عرجًا خفيفًا، فاستقبله وقاده إلى غرفة المكتبة ... ثم أسرع لاستدعاء المهندس «سامح»، وقد ظلَّ ينادي عليه فترةً طويلةً قبل أن تدله أصوات الكلاب التي كانت تنبح ... فلمَّا وصل عنده ... وجده ملقًى على الأرض والدماء تنزف من رأسه ...

وسكت المفتش لحظات، ثم مضى يقول: وأسرع «فتحي» إليه، وساعده على الوقوف ... وقال له إن الضيف وصل، فاستند على ذراعه ... واتجها إلى قاعة المكتبة ... ولكن الضيف لم يكن موجودًا ...

وصمت المفتش وأخذ ينظر إلى وجوه الأصدقاء الذين كانوا يتابعونه ... وقد أرهفوا آذانهم، ومضى المفتش في حديثه: كان المهم في هذه اللحظة بالنسبة للمهندس «سامح» الاهتمام بإصابته ... فصعد إلى غرفته حيث اغتسل وغيَّر ثيابه ... ووضع بعض المطهِّرات على الجرح، ثم اتصل بأحد أصدقائه الأطباء فحضر على الفور ... وقام بالإجراءات الطبية اللازمة ...

وأنهى المفتش «سامي» فنجان القهوة، ثم مضى يُكمل حديثه: ووصلَت زوجة المهندس «سامح» نحو الساعة التاسعة ... وعرفت بما حدث ... وبعد أن اطمأنت على حالة زوجها، نزلت إلى المكتبة حيث توجد خزانة بها مجوهراتها وبعض النقود والأوراق الهامة ... ولاحظت على الفور أن مفاتيح الخزانة موجودة على مكتب زوجها، فأحسَّت بالخوف من أن يكون قد سُرق شيء من الخزانة، خاصةً بعد أن علمت باختفاء الضيف ... وفتحت الخزانة، وكانت محقةً في خوفها ... فقد وجدت أن المجوهرات قد اختفت ...

وتنهَّد المفتش قائلًا: وصعدت الزوجة إلى زوجها، وأخبرته بما حدث، فأسرع ينزل إلى المكتبة وهو يلوم نفسه لأنه نسي المفاتيح على المكتب، وخرج إلى الحديقة ... واتصل المهندس بنا وأبلغنا بما حدث ...

وضغط المفتش على شفته السفلى وهو يقول: وبالطبع قام الشاويش «علي» بكتابة محضر الحادث، وحضرتُ ومعي بعض زملائي، وقمنا بالإجراءات اللازمة ...

قال «تختخ»: إن هناك عناصر كثيرةً للبحث والتحرِّي ...

المفتش: نعم ... قمنا أولًا باستجواب جميع شهود الحادث ... المهندس «سامح صديق»، والسفرجي «فتحي»، والبواب «حسنين»، والسيدة «عواطف» زوجة المهندس، ثم قمنا برفع البصمات ... والبحث عن «روجر كولي» ...

وزاد اهتمام المغامرين، وقالت «لوزة»: هل عثرتم على أدلة؟

ردَّ المفتش: حتى الآن ... لا ... البصمات التي وُجدت كانت بصمات المهندس «سامح» على المكتب ... وبصمات السيدة «عواطف» على سلسلة المفاتيح وباب الخزانة ... وهذا يثبت أن «روجر كولي» قد أزال بصماته تمامًا عن سلسلة المفاتيح وباب الخزانة ...

وتحدَّثت «نوسة» التي ظلَّت صامتةً كل الوقت فقالت: من هو المتهم؟ ... أو من هم المتهمون في رأيك يا سيادة المفتش؟

قال المفتش: أمامنا ثلاثة متهمين ... الأول: «روجر كولي» ... والثاني: «فتحي» السفرجي؛ لأنه أمضى وقتًا طويلًا وحده في قاعة المكتبة مع الخزانة، وكانت المفاتيح أمامه ...

نوسة: ومن هو الثالث إذن؟

المفتش: الثالث شخص مجهول تسلَّل إلى قاعة المكتبة في الفترة بين خروج مستر «روجر كولي» وخروج السفرجي «فتحي» للبحث عن المهندس «سامح صديق» ...

سر المظروف المغلق

ساد الصمت لحظات، ثم قال «تختخ»: ويمكن أن نُضيف إلى الثلاثة المتهمين متهمًا رابعًا ... التفت الأصدقاء والمفتش إلى «تختخ» الذي مضى يقول: يمكن إضافة البواب «حسنين» أيضًا ...

نوسة: ولكنه كان خارج القصر ...

تختخ: هذا من حيث أقوال المهندس «سامح»؛ فقد طلب المهندس من البواب أن يدور حول القصر لعله يجد مستر «روجر» يبحث عن العنوان ... ولكن لنتصوَّر أن البواب دار حول القصر ولم يجد مستر «روجر»، فعاد إلى الفيلا ليُخطر المهندس ... في نفس الوقت الذي كان فيه الضيف قد خرج ... وخرج أيضًا السفرجي «فتحي» ليبحث عن المهندس «سامح» في الحديقة ... ونحن نعرف أن السفرجي قضى وقتًا طويلًا في البحث عن المهندس ... وهي فترة لم نُحدِّدها بعد ... ولكن لنقل إنها ربع ساعة مثلًا ... إنها مدةٌ كافية لعودة البواب من الخارج، وفتح الخزينة وسرقة ما فيها ...

قال المفتش: إنني أُوافقك ... وبهذا تصبح قائمة الاتهام تضم أربعة متهمين ... كل منهم يمكن أن يقوم بفتح الخزانة وسرقة المجوهرات دون أن يراه الآخر ...

قال «محب»: وهؤلاء الأربعة منهم ثلاثة نعرفهم: هم الإنجليزي «روجر كولي»، والسفرجي «فتحي»، والبواب «حسنين»، والرابع شخص مجهول تواجد في منطقة السرقة ساعة حدوثها ...

تختخ: المهم الآن هو إثبات براءة كل واحد من الثلاثة الذين نعرفهم لينصَبَّ الاتهام على الرجل الرابع ...

قال المفتش: لقد أنكر «فتحي» و«حسنين» الاتهام الموجَّه إليهما ... وقد شهد لهما المهندس «سامح» وزوجته السيدة «عواطف» بالأمانة ...

لوزة: و«روجر كولي»؟

التفت إليها المفتش مبتسمًا وقال: نعم … هذا هو السؤال الهام في المسألة كلها … ما هي أقوال «روجر كولي» المتهم الأول؟

وبدا على الأصدقاء الإعجاب بسؤال «لوزة» والاهتمام بما سيقوله المفتش ردًّا على سؤالها …

قال «المفتش»: لقد عرفنا مكان مستر «روجر كولي»؛ كان ينزل في فندق «شيراتون»، وعندما سألناه أنكر أنه اتصل بمكتب أو منزل المهندس «سامح» …

ساد الصمت بعد هذه الجملة … فقد دخل اللغز في غموض زائد … فالمتهم الأول على حسب ترتيب الأحداث ينكر وجوده في مكان الحادث … بل ينفي أنه اتصل بمنزل المهندس أو مكتبه … وأخذ المغامرون الخمسة يعاودون ترتيب المعلومات في أذهانهم بعد أن زاد تعقيدها وغموضها …

قال «تختخ»: وهل استطاع «روجر كولي» أن يُثبت بُعده عن مكان السرقة وقت وقوعها؟

المفتش: لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال بلا أو نعم … فهناك عدة نقاطٍ تحيط بموقف المستر «روجر كولي» لا بد من توضيحها … النقطة الأولى: أنه كان موجودًا في المعادي في نفس وقت وقوع جريمة السرقة …

صاحت «نوسة»: إذن كان في إمكانه أن يقوم بالسرقة …

المفتش: وفي نفس الوقت شهد رجل الأعمال «كمال مروان» أن «روجر كولي» كان عنده في المنزل مع مجموعة من الأصدقاء بين الساعة السادسة والتاسعة، ولم يغادر مكانه مطلقًا …

محب: إن هذا يذكِّرني بلغز الرجل «ذو الألف وجه» … لعلكم تذكرون — وأنت يا سيادة المفتش — أن شخصَين اتفقا على أن يوجد أحدهما في مكان الآخر … في حين كان الآخر يرتكب جريمة سرقة …

المفتش: تقصد أن شبيهًا لـ «روجر كولي» هو الذي قام بالسرقة؟

محب: أو يكون «روجر» هو الذي قام بالسرقة، في حين كان شبيهه في الحفل الذي أقامه «كمال مروان» …

المفتش: هذا ممكن … ولكن كيف يمكن إثباته؟

عاطف: إن النقطة التي أفكِّر فيها هي … من الذي اتصل بمكتب ومنزل المهندس «سامح» لتحديد موعد زيارة «روجر كولي»؟ إنه بالتأكيد شخص يعرف الكثير … فهو

يعرف «روجر»، ويعرف «سامح»، ويعرف مكان الخزانة، ويعرف أن بها مجموعةً من المجوهرات الثمينة … ويعرف أن «روجر» سيكون موجودًا بين ضيوف «كمال مروان» ساعة وقوع الجريمة … إن هذا الشخص الذي يعرف كل هذه المعلومات … هو الرجل الذي نبحث عنه …

المفتش: هذا إذا كانت الجريمة مدبَّرةً ولم تحدث بالصدفة …

وعاد الصمت من جديد … وقال «تختخ»: بالمناسبة يا سيادة المفتش … ألم توجد بصمات على مفاتيح الخزانة؟

المفتش: نعم … بصمات السيدة «عواطف» زوجة المهندس «سامح» … وكذلك على الخزانة … ثم وقف المفتش قائلًا: إننا ما زلنا نبحث … وأترك لكم حرية البحث … إنها جريمة من النوع الذي يمكن حله دون أن تتحرَّكوا من أماكنكم … أو تتعرَّضوا لأية مخاطر … وسنرى ماذا يمكن أن يفعله المغامرون الخمسة …

ووقف المفتش، ووقف الأصدقاء وساروا معه … عدا «لوزة» التي وقفت وحدها ترقب الجميع، وقد بدت عليها علامات التفكير العميق … ثم أسرعت إلى داخل المنزل واختفت لحظات … فقال المفتش للأصدقاء: ماذا جرى لـ «لوزة»؟ إنها لم تأتِ لوداعي كما اعتادت أن تفعل …

وكان بقية المغامرين قد لاحظوا ما فعلته «لوزة»، ولم يعلِّقوا عدا «عاطف» الذي قال: ربما ذهبت لإحضار اللص …

وضحك الجميع … وقبل أن يركب المفتش سيارته، وجدوا «لوزة» قد أقبلت مسرعةً وهي تمسك بيدها مظروفًا من مظاريف الخطابات مغلقًا … وأسرعت إلى المفتش، وكان قد فتح باب السيارة وجلس، فأدخلت رأسها من النافذة، وتحدَّثت إليه حديثًا هامسًا لم يسمعه الأصدقاء … ثم وضعت المظروف في يده، ولاحظ المغامرون أن علامات الدهشة قد بدت واضحةً على وجه المفتش، الذي همس هو الآخر في أذن «لوزة» بكلمات، ثم تبادلا التحية باليدَين، ووضع المفتش المظروف في جيبه، وانطلقت السيارة …

قال «محب»: ما هذه الرسالة يا «لوزة»؟

ردَّت «لوزة»: لن أقول لكم …

عاطف: كيف لا تقولين لنا؟ إن المغامرين الخمسة لا يُخفون شيئًا عن بعضهم البعض …

لوزة: لو قلت لكم لتعرَّضت لسخريتكم جميعًا …

قال «عاطف» ضاحكًا: لا بد أنه خطاب غرامي أرسلتِه إلى المفتش …

ضحك الأصدقاء وانتظروا أن تثور «لوزة» ضد شقيقها كالمعتاد، ولكنها بدلًا من ذلك ابتسمت وقالت بغموض: إنه خطاب غرامي … ولكنه يحوي سرًّا خطيرًا …

وحاول الأصدقاء أن يحصلوا على أية معلومات منها، ولكنهم فشلوا، وظلَّت «لوزة» مُصرَّةً على إخفاء سر المظروف المغلق …

وعندما عادوا إلى جِلستهم قالت «نوسة»: إنني أتصوَّر أنه من الضروري إعادة ترتيب الحوادث مرةً أخرى … فالحوار مع المفتش لم يكن متسلسلًا حتى تتبلور الحقائق أمامنا … لهذا فإنني أرجو أن يقوم «تختخ» بإعادة تصوير الحادث لنا بطريقة منتظمة لعلنا نكشف من خلال التلخيص معلومات هامة …

عقد «تختخ» يدَيه تحت ذقنه وأخذ ينظر إلى «زنجر» الذي استلقى في شمس مايو نصف الحامية وقال: نعم؛ فهناك عدد كبير من المشتبه فيهم … وهناك مواعيد ومسافات يجب أن تُحسب بدقة … إن هذا اللغز يشبه قطعة «الدانتلا» … كل شيء فيه قد خيط بمهارة … وهذا لص من نوع جديد …

وصمت «تختخ» لحظات، ثم قال: أرجو أن تُحضري لنا يا «لوزة» بعض الأوراق والأقلام؛ فنحن في حاجة إلى تدوين المعلومات بالترتيب …

وعندما وقفت «لوزة» … قال «عاطف» ساخرًا: ولا تنسَي بعض المظاريف؛ فقد نحتاج إلى كتابة بعض الخطابات الغرامية …

هذه المرة ثارت «لوزة» وقالت: لقد أصبح دمك ثقيلًا … وأعتقد أن إصابتك بالبرد قد غيرت دمك …

ابتسم «تختخ» قائلًا: يكفي هذا يا «عاطف» …

ومضت «لوزة» لإحضار الورق والأقلام … فقال «عاطف»: إنني غير موافق على أن يقوم أحد المغامرين بإخفاء معلومات عنا …

نوسة: من المؤكَّد أنها ليست معلومات … ربما كتبت «لوزة» بعض الأسئلة وطلبت من المفتش الإجابة عنها …

عادت «لوزة» بعد لحظات … وأمسك كلٌّ من المغامرين بقطعة من الورق وقلم من الرصاص، وبدءوا يستعدون لتدوين المعلومات …

قال «تختخ»: أمامنا كما اتفقنا أربعة متهمين … أولًا: «روجر كولي» … ثانيًا: السفرجي «فتحي» … ثالثًا: البواب «حسنين» … رابعًا: رجل مجهول … مثل شخصية «روجر كولي»، ولنسمِّه مؤقتًا «روجر الثاني» …

وتنهَّد «تختخ» وقال: هؤلاء الأربعة يمكن أن يكون أي واحد منهم قد ارتكب الجريمة؛ لأنهم جميعًا كانوا قريبين من مكان الحادث عند وقوعه ... والآن ما هي الوقائع؟

ونظر الأصدقاء جميعًا إليه فقال: تعرَّف المهندس «سامح صديق» بالمستر «روجر كولي» في أحد أسفاره بالخارج ... ودعاه إلى زيارته عندما يحضر إلى القاهرة ... حضر «روجر كولي» إلى القاهرة لحضور مؤتمر لرجال الأعمال ... واتصل بمكتب المهندس «سامح» ليطلب موعدًا لمقابلته ...

قال «محب» مقاطعًا: ولكن «روجر كولي» نفى أنه اتصل ...

تختخ: سنصل إلى هذه النقطة فيما بعد ... ولنقل مؤقتًا إن «كولي» اتصل بمكتب المهندس «سامح» الذي لم يكن موجودًا ... ثم اتصل بمنزله ولم يكن «سامح» موجودًا ... وردَّت زوجته حسب تعليمات زوجها، وحدَّدت للضيف موعدًا في السابعة ... وفي السادسة غادرت زوجة «سامح» المنزل، وبقي وحده مع بعض الشغَّالين ... وأعد حفل شاي صغيرًا للضيف ... ولكن الضيف لم يحضر في موعده، فخرج «سامح» يتمشَّى في الحديقة ... وحضر الضيف في أثناء غيبته ... وحسب تعليمات «سامح» كان البواب «حسنين» يطوف حول الفيلا ... وكان السفرجي «فتحي» ينتظر الضيف في غرفة المكتب ... وعندما حضر ... أسرع يستدعي المهندس «سامح» من الحديقة، ولكنه لم يعثر عليه سريعًا ... ففي هذه الأثناء كان المهندس قد أصيب بضربة قوية من غصن شجرة وسقط على الأرض ... وعندما عُثر عليه ... وعادا معًا إلى الفيلا، لم يجدا الضيف ... وعادت السيدة حرم المهندس «سامح» إلى الفيلا واكتشفت سرقة مجموعة ثمينة من اللآلئ، كانت موضوعةً في خزانة زوجها الذي نسي المفتاح على مكتبه ...

مجموعة من الألغاز

ساد الصمت بعد هذا الاستعراض السريع للأحداث التي وقعت في فيلا المهندس «سامح»، وقبل أن يتحدَّث أحد ... دقَّ جرس التليفون الموضوع في الكشك الصيفي بجوار الأصدقاء، وأسرعت «لوزة» ترد ... ثم قالت: «توفيق» ... إن والدتك تريد الحديث إليك ...

قام «تختخ» إلى الكشك الصيفي فتحدَّث إلى والدته ... ثم عاد للأصدقاء قائلًا: سأُضطر للانصراف الآن ... هل نلتقي هذا المساء؟

ردَّ «محب»: للأسف لن أستطيع أنا و«نوسة» الحضور؛ سنخرج مع والدَينا لزيارة بعض الأصدقاء، وسنعود بعد العشاء ...

تختخ: إذن نلتقي غدًا صباحًا ...

وأشار لهم بيده محييًا ... ثم انطلق إلى منزله وخلفه «زنجر» الذي ظلَّ طول وقت الحديث تحت كرسي «تختخ»، فلم يكن في الحديث ما يثيره ... ووصل «تختخ» إلى منزله ... وهو يفكِّر في كل ما سمع ... كانت هناك تساؤلات كثيرة حول هذه الأحداث ... وتمنَّى لو كان في إمكانه أن يَشهد غرفة المكتب والحديقة ... ويلتقي بأبطال هذه القصة الغامضة ... خاصةً «روجر كولي» ... فهل هذا ممكن؟

وجد والدته في انتظاره ومعها سيدة من صديقاتها ... يتذكَّر أنه رآها من قبل ... وقدَّمت والدته له صديقتها قائلة: مدام «هدى» ... صديقتي ... وقد جاءت تطلب منك خدمة ...

اندهش «تختخ» عندما سمع هذا ... فأي خدمة يمكن أن تطلبها منه السيدة «هدى»؟ ولكن والدته لم تتركه لدهشته طويلًا وقالت: إن السيدة «هدى» قد سمعت عن نشاطك أنت وبقية أصدقائك في حل الألغاز الغامضة ... وقد جاءت تطلب منكم أن تساعدوها في حل لغز معقَّد ...

أحسَّ «تختخ» أولًا بالسعادة لأنه والمغامرين قد أصبحوا على هذا القدر من الشهرة ... ولكن في نفس الوقت أحسَّ بقدر من الرهبة ... فهل هم حقًّا قادرون على حل لغز السيدة «هدى»؟ ...

قال «تختخ»: يسعدني طبعًا أن أقدِّم أية خدمة للسيدة «هدى» ... ولكن لماذا لم تلجأ إلى الشرطة؟ ... إنهم المسئولون أولًا عن حلِّ الألغاز وحفظ الأمن ...

قالت السيدة «هدى» على الفور: للأسف إن رجال الشرطة لم يستطيعوا حل اللغز، وأقصد برجال الشرطة الشاويش «علي»، ولعله لم يُبدِ الاهتمام الكافي بموضوع اللغز؛ لأنه مشغول بما هو أهم ...

قال «تختخ»: ما هو اللغز يا سيدتي؟

قالت السيدة «هدى»: إنه لغز خاص بكلبي «مودي» ... تنهَّد «تختخ» بعد أن سمع هذه الجملة ... فلا بد أن الحكاية لن تزيد عن اختفاء الكلب المحبوب «مودي» ... وقد صدق ظنه ... فقد قالت السيدة: لقد اختفى «مودي» ...

وقد ألقت السيدة بهذه الجملة كما يذاع خبر في الراديو عن إعلان الحرب ... كأن «مودي» هذا هو أهم شخصية في العالم ... ولكن لأن «تختخ» يحب الكلاب ... فقد قدَّر موقف السيدة وأحزانها وقال: شيء مؤسف يا سيدتي ...

قالت السيدة «هدى»: وقد أبلغتُ الشاويش «علي»، وبالطبع فإنني أعتقد أنه فعل ما يمكنه ... ولكني أظن أنه لا يحب الكلاب ...

وابتسم «تختخ» وهو يتذكَّر ما يفعله «زنجر» بالشاويش «علي» كلما قابله ... فمن المؤكَّد أن الشاويش «علي» لا يحب الكلاب ... ومضت السيدة فقالت: ولأنه لا يحب الكلاب ... فإني أعتقد أنه لن يواصل البحث ... وأنني قد أفقد «مودي» إلى الأبد.

وأضافت والدة «تختخ»: أن السيدة «هدى» تعيش وحدها ... وليس معها من يؤنس وحشتها إلا الكلب «مودي»، ولعل هذا يا «توفيق» يدلُّك على أهمية ما ستبحث عنه ...

وتذكَّر «تختخ» عِقد اللؤلؤ الأحمر النادر ... وبقية المجوهرات التي سُرقت من المهندس «سامح صديق»، وعاد للابتسام، فقالت والدته: لماذا تبتسم؟ ...

فوجئ «تختخ» بالسؤال ... واضطُر أن يقول: إنها مُهمَّة سهلة ... وأعتقد أن المغامرين الخمسة سوف يعثرون على «مودي» ...

ابتسمت السيدة «هدى»، وبدت سمات الفخر على وجه والدة «توفيق» عند سماع هذه الجملة، وقالت السيدة «هدى»: إنني على استعداد أن أدفع أي مبلغ مقابل العثور على «مودي» ...

قال «تختخ» بتواضع: شكرًا لكِ يا سيدتي ... إن المغامرين الخمسة لا يتقاضَون أية مبالغ مقابل الخدمات التي يقومون بها ... خاصةً وأنتِ صديقة لوالدتي ... وأن أية كلمة منها هي بمثابة أمر يجب إطاعته ...

ولدهشة «تختخ» الشديدة ... وضعت السيدة «هدى» يدها في حقيبتها، ثم أخرجت مجموعةً من الصور للكلب المفقود العزيز «مودي»، ومدَّت يدها بها إليه ...

وأمسك «تختخ» مجموعة صور الكلب ... وأخذ يتأمَّلها مُبديًا اهتمامه ... وعرف على الفور أنه كلب من نوع «الطانين»، وسألها «تختخ» عن لونه ... فقالت إنه أسود اللون وفي رقبته طوق به الرخصة ورقمها «٦١٣» ...

وحتى يُبدي «تختخ» مزيدًا من الاهتمام بالموضوع فقد سألها عن ظروف اختفاء «مودي» ...

فقالت السيدة ... وهي تجفِّف دموعها: منذ ثلاثة أيام ... وحوالي الساعة السادسة مساءً خرجت معه إلى كورنيش النيل حيث نقوم بنزهة يوميًّا معًا ... وبعد أن سرنا قليلًا على النيل ... جلستُ في كازينو «الجود شوط» حوالي نصف ساعة ... ثم عدنا إلى البيت ... وفي طريق العودة تخلَّف «مودي» قليلًا ... ولم أهتمَّ فهو يعرف المنزل جيدًا ... وكثيرًا ما كان يجري هنا وهناك، ثم يعود من تلقاء نفسه ... ولكن في هذه المرة ابتعد «مودي» عني كثيرًا دون أن أدري ... ثم سمعت صوت كلاب تتشاجر في مكان ما ... وخُيل إليَّ أنني أسمع صوت «مودي» بينها ... وتنبَّهتُ في هذه اللحظة، وكنت أقترب من المنزل، إن «مودي» قد تأخَّر أكثر من اللازم ... وقبل أن أتحرَّك في اتجاه نباح الكلاب ... التقيتُ بإحدى صديقاتي ... واضطُررت إلى أن أقف معها نتحدَّث قليلًا ... وعندما انتهيتُ من الحديث ... كان نباح الكلاب قد تلاشى ... ولكني كنت أتذكَّر الاتجاه الذي جاء منه، فأسرعتُ عائدة ... وأخذتُ أنظر هنا وهناك ...

وسكتت السيدة «هدى» لحظات وهي تلتقط أنفاسها، ثم عادت تقول: وكان الظلام قد هبط في هذه الأثناء، وكما قلت لك إن «مودي» أسود اللون ... وهكذا أصبح من الصعب العثور عليه ... ولم يكن في إمكاني بالطبع أن أرفع صوتي لأنادي عليه ... فلو كان قريبًا مني لما احتاج للنداء ... وقلت في نفسي ربما عاد إلى البيت قبلي ... وهكذا أسرعت إلى البيت ... ولكني لم أجده في الحديقة ... وفتحت الباب ودخلت، وسألت الشغَّالة عنه، فقالت لي إنها لم ترَه ... فخرجتُ مرةً أخرى إلى الشارع أبحث عنه ... ولكن بلا جدوى ... لقد اختفى «مودي»، وحتى هذه اللحظة لم يعُد ...

وأحسَّ «تختخ» بشيء ما … شيء ما في قصة السيدة «هدى» يستحق الانتباه، فقال لها: أين تسكنين؟

ردَّت السيدة «هدى»: في رقم ٣٦ بشارع ١٩ …

وزاد اهتمام «تختخ» بعد هذه الجملة … وأدرك بحاسته السادسة التي طالما نبَّهته إلى الأشياء الصغيرة والهامة أنه أمام شيء مثير، فقال: نحن الآن يوم الثلاثاء فمتى حدث هذا كله … وفي أية ساعة بالتحديد؟

ردَّت السيدة «هدى»: حدث يوم السبت الماضي بين الساعة السابعة والنصف والثامنة مساءً … ربما يجعلني أتذكَّر الموعد بالضبط أنني قابلت أحد البوابين الذين يعملون في أحد المنازل المجاورة، وسألني عن الساعة وكانت السابعة و٤٥ دقيقة …

زاد انتباه «تختخ» وسألها: هل هو بواب المهندس «سامح صديق»؟

فتحت السيدة «هدى» عينَيها دهشةً وقالت: كيف عرفت؟

ابتسم «تختخ» في تواضع وقال: هل كان هو؟

ردَّت السيدة: نعم … كان هو فعلًا … إنك شخص مدهش.

ثم نظرت إلى والدة «تختخ» التي هزَّت رأسها وسألت «تختخ»: ولكن كيف عرفت هذا البواب يا «توفيق»، وهذه أول مرة تسمع فيها هذه القصة؟

قال «تختخ» متظاهرًا بالغموض: لن أقول لكما الآن … فحل الألغاز يحتاج إلى قدر من الكتمان … ولكني أعدكما بحل لغز اختفاء «مودي» …

قالت السيدة «هدى»: وإعادته؟

هزَّ «تختخ» رأسه قائلًا: ربما …

بدا الحزن على وجه السيدة وقالت: لماذا ربما؟

تختخ: لأنني لا أستطيع الجزم بشيء سيحدث في المستقبل … وسأطلب منك خدمةً بسيطة …

قالت السيدة: ما هي؟ إنني على استعداد لمساعدتك …

تختخ: باعتبارك جارة المهندس «سامح صديق» هل تعرفين زوجته؟

السيدة «هدى»: طبعًا … إنها صديقة عزيزة لي … ولكن ماذا تريد منها؟

تختخ: أرجو أن تطلبي منها السماح لي بدخول حديقتهم …

هزت السيدة «هدى» رأسها وقالت: ولكن لماذا؟

تختخ: أرجو يا سيدتي أن تُبقي أسئلتك لحين الانتهاء من حل اللغز …

السيدة «هدى»: اللغز ... إنه لم يعد لغزًا ... إنه مجموعة ألغاز ...

ابتسم «تختخ» وهو يقول: معك حق ... إنه مجموعة ألغاز ... ولكن ليس بسبب الأسئلة التي لم أُجب عنها ... بل لسبب آخر لا يخطر به بالك ...

هزَّت السيدة «هدى» رأسها وقالت: أمري إلى الله ... متى تريد زيارة حديقة منزل المهندس «سامح»؟

قال «تختخ»: هذا المساء ...

وقام واقفًا وهو يقول: وإذا سمحتِ لي ... فسوف أحتفظ بصورة من صور العزيز «مودي» لأنني سأحتاج إليها في التعرُّف عليه ...

السيدة «هدى»: بالطبع يمكنك أن تأخذها ...

ثم قامت ومدَّت يدها إلى «تختخ» قائلة: لقد سمعت الكثير عنك ... وأتمنَّى أن تحقِّق أملي فيك وتعيد إليَّ «مودي» ...

وترقرقت الدموع في عينَيها عندما تذكَّرت كلبها العزيز ... وأحسَّ «تختخ» أنها حزينة حقًّا ... فقال لها وهو يشد على يدها: أرجو أن نكون عند حسن ظنك بنا ...

ومضت السيدتان إلى الباب الخارجي ... وأحسَّ «تختخ» أنه في حاجة إلى الانفراد بنفسه؛ فقد كانت هناك مجموعة ضخمة من المعلومات تستحق التنسيق ... وقد قادت الصدفة الحسنة إليه هذه السيدة التي فقدت كلبها لتضيف إلى معلوماته بعض الرتوش عن سرقة مجوهرات المهندس «سامح صديق». لقد كانت أمامه الآن إضافة جديدة لمعلوماته أحسَّ بها منذ قالت له السيدة «هدى» على تاريخ اختفاء كلبها العزيز «مودي»، ورقم الشارع الذي تسكن فيه ... والساعة التي اختفى فيها الكلب ... إن سرقة المجوهرات واختفاء الكلب يشتركان في الشارع والمنزل والساعة؛ أي في المكان والتوقيت ... فهل هناك علاقة بين الاثنَين؟

الكابوس

لم يكن هناك اتفاق بين المغامرين للقاء في المساء ... وهكذا قرَّر «تختخ» أن يذهب وحده للبحث عن «مودي» ... كانت حاسته كمغامر تؤكِّد له أنه سيعثر على شيء ما يربط بين اختفاء الكلب «الطانين» الأسود ... وبين اختفاء المجوهرات ... ولكن لم يكن قد وجد رابطةً مُعيَّنة ... إلا أن الحدثَين وقعا في وقتٍ واحد ...

ذهب وحده ولم يأخذ «زنجر» معه ... فقد تذكَّر وجود الكلاب المتوحِّشة التي تحمي فيلا المهندس «سامح صديق»، ولم يشأ أن يعرِّض «زنجر» لهجوم هذه الوحوش ...

وفي الخامسة أخذ طريقه إلى شارع «١٩» ... وعندما اقترب من الفيلا رقم «٣١» هالَته مساحتها الكبيرة ... والجدار الحجري الفخم الذي يحيط بالحديقة الواسعة ...

وتوقَّف قليلًا يتأمَّل المكان ويفكِّر ... ثم تقدَّم حتى وصل إلى البواب ... ولم يكد يقترب من باب الحديقة الحديدي حتى اندفعت مجموعة من كلاب «الولف» الرمادية تنبح بشراسة من خلال القضبان الحديدية ... وأحسَّ «تختخ» أنه من الصعب اقتحام هذا المكان دون رضا صاحبه ...

تقدَّم من البواب العجوز «حسنين» وتذكَّر أنه أحد المشتبه فيهم ... وتصوَّر ماذا يمكن أن يفعل مثل هذا الرجل بمجموعة من المجوهرات الثمينة ... ولم يمضِ في تأمُّلاته كثيرًا ... وقال له: السلام عليكم ...

ردَّ الرجل السلام دون أن يسمع «تختخ» ما قاله لفرط ارتفاع نباح الكلاب ... وعاد «تختخ» يقول: عندي موعد لزيارة المنزل ...

قال البواب: الأستاذ «توفيق خليل»؟

ردَّ «تختخ»: نعم ...

قال «حسنين»: آسف ... إن المهندس وزوجته قد غادرا المنزل منذ قليل، ومن الصعب السماح لك بزيارة المنزل اليوم ...

تختخ: هل يمكن زيارة الحديقة فقط؟

فكَّر «حسنين» قليلًا، ثم قال: أعتقد أن هذا ممكن … ولكن لحظةً من فضلك حتى أعيد الكلاب إلى أماكنها …

وقام البواب بفتح الباب الحديدي الضخم … وأخذت الكلاب تتقافز وقد بدا عليها الهِياج الشديد … وأحسَّ «تختخ» بالخوف … فلو أفلتَت الكلاب من الباب … فمن المؤكَّد أنه سيتعرَّض لهجوم ساحق … ولكن لحسن الحظ كانت كلمات البواب كافيةً لكي تتراجع الكلاب وأجسادها ترتجف من الغضب … وبعد لحظات عاد «حسنين» وقاد «تختخ» إلى مدخل الحديقة قائلًا: تفضَّل … وإن كنت متأكِّدًا أنك لن تجد ما تبحث عنه … فقد بحثت عن هذا الكلب الذي تتحدَّث عنه السيدة … ولم أجِد له أثرًا …

وقال «تختخ» في نفسه: من المؤكَّد لو أن هذا الكلب الصغير دخل الحديقة … لمزَّقته هذه الوحوش في ثوانٍ قليلة … ولكن لم يكن الكلب إلا ذريعةً يدخل من أجلها هذا المكان على أمل أن يعثر على شيء ينير الطريق إلى كشف ما حدث منذ ثلاثة أيام، وفشل رجال الشرطة في كشف غوامضه …

وقف «تختخ» لحظات في مدخل الحديقة … وقد بهره ما رأى … كانت أشبه بغابة أفريقية؛ فقد التفَّت الأشجار والنباتات في كثافة عجيبة … وانتشرت الأزهار الملوَّنة في كل مكان … وتدلَّت أغصان طويلة تشبه الجذوع … وامتلأ الجو بزقزقة مئات العصافير … بعضها كان في أقفاص سلكية … والبعض الآخر على أغصان الأشجار … وبالإضافة إلى نباح الكلاب المتوحِّشة … أحسَّ «تختخ» أنه فعلًا ليس في حديقة عادية … بل هو في غابة …

كان مستغرقًا في التفكير حتى إنه انزعج عندما سمع صوت البواب العجوز يقول له: تفضَّل يا أستاذ … سوف أسير معك حتى لا تتوه …

قال «تختخ»: من الذي يعتني بكل هذه الحديقة؟

ردَّ البواب: إنها حديقة قديمة … بدأها السيد «صديق الأكبر» جد المهندس «سامح»، وكل فرد من أسرة «صديق» أضاف إليها شيئًا، واهتمَّ بها حتى أصبحت بهذا الشكل …

تختخ: ولكن من الذي يهتم بها الآن؟

البواب: بالإضافة إلى المهندس نفسه … هناك بستاني اسمه «نسيم» مقيم هنا منذ مدة طويلة، لا يكاد يخرج من الحديقة مطلقًا … يساعده بستاني آخر يأتي على فترات متقطِّعة كلما كان هناك عمل كثير في الحديقة …

تختخ: وأين يقيم البستاني الدائم؟

البواب: في كشك خشبي قديم تغطِّيه الزروع ... ولكنه عادةً لا يوجد فيه؛ فهو دائم التجوُّل في الحديقة ليل نهار ...

تختخ: أريد أن أقابله ...

بدا نوع من الاضطراب على وجه البواب قائلًا: لا داعي لهذا ... إنه ...

تختخ: إنه ماذا؟

البواب: لا أدري إن كان يجب أن أقول لك أم لا ... ولكنه رجل مختل العقل إلى حدٍّ ما ... لهذا لا يسمح الأستاذ «صديق» لأحد بمقابلته ...

ساد الصمت بعد هذه الجملة ... ولم يبقَ إلا صوت العصافير ونباح الكلاب ...

وهبَّت ريح خفيفة حملت إلى أنف «تختخ» مزيجًا من رائحة الأزهار والورود والشجر والأرض المروية ... وأحسَّ بأن سحرًا ما يسيطر عليه ... سحر المغامرة والغموض والإثارة ...

قطع «تختخ» الصمت قائلًا: سأتجوَّل وحدي في الحديقة.

البواب: ولكن يا أستاذ ...

تختخ: لا تخشَ شيئًا ... سوف أعرف طريقي ... وأحدِّد مكاني بواسطة الشمس، ولا تقلق إذا لم أعُد إليك ... فسأكون قد خرجت بطريقة ما ...

سار «تختخ» في الممر الذي أمامه ... وكان ممهَّدًا بحبات الزلط الملوَّن كما في حديقة الحيوان ... وقد انتشرَت مساقي المياه الرفيعة على الجانبَين ... وبرغم أن الشمس كانت ما تزال قوية ... وبرغم أن هذه الحديقة في المعادي ... وبرغم أن «تختخ» كان يسمع صوت أبواق السيارات من بعيد ... برغم كل هذا، كان يشعر أنه دخل إحدى الغابات الأفريقية ... وأنه بعيد جدًّا عن العالم المتحضِّر، وأخذ يتوقَّع بين لحظة وأخرى أن يقابل فيلًا أو أسدًا ... أو يقفز على كتفَيه قرد من القرود ...

سار ينظر حوله. لم يكن يدري بالضبط ما يبحث عنه ... ولكن حاسته كانت تقول له إنه سيعثر على شيء ما ... رابطة ما بين اختفاء «مودي» وبين سرقة المجوهرات ... وفجأةً خطر له خاطر ... ما هي حكاية البستاني الأبله في هذه الحديقة ... ولماذا لم يَرِد اسمه في التحقيقات الخاصة بسرقة المجوهرات؟ ... هل أخفى الاسم عن عمد ... أو تم استبعاده لأسباب لا يعرفها؟ أو لأنه أبله لا يفقه شيئًا؟ ... كانت أسئلةً هامةً ولكنها بلا أجوبة ...

شيئًا فشيئًا أخذ ظل الأشجار يخفي الشمس ... ونسي «تختخ» نفسه وأخذ يسير ويسير ... يبحث بين الممرَّات عن أي أثر للكلب ... ولكن بلا جدوى ... لم يكن هناك أي

شيء يمكن كشفه في هذه الغابة المدهشة ... وفجأةً أحسَّ أن شيئًا يتحرَّك قريبًا منه ... والتفت فجأة ... وخُيل إليه أنه يرى شبحًا يختفي خلف الأشجار الكثيفة ... واستدار وعاد يبحث في مكان الشبح ... ولكنه لم يرَ أحدًا ... ولكن أنفه شم رائحةً قوية ... رائحة سجائر أو تبغ ثقيل ... وأدرك أن شخصًا ما يتبعه ... وتنبَّهت حواسه ... ونظر في ساعته ... كانت قد تجاوزت السابعة ... ومعنى هذا أنه أمضى ساعةً تقريبًا يسير دون أن يدري ... وقرَّر أن يعود ... ولكنه لم يكد يستدير لاستئناف السير ... حتى سمع أزيزًا خفيفًا فوق رأسه ... فارتمى على جانب ... وفي نفس اللحظة هوت زهرية من الفخار الثقيل نزلت تمامًا في نفس المكان الذي كان يقف فيه منذ لحظات ... ولم يتردَّد «تختخ» واتجه سريعًا إلى جذع الشجرة التي سقطت من فوقها الزهرية ... وتسلَّق الجذع الذي كان ممتلئًا بالْتواءات ... وصعد برغم سمنته إلى ارتفاع مترَين ... ثم أخذ يحدِّق بين الأغصان ... كان يتمنَّى أن يرى الشخص الذي حاول قتله ... ولكن لم يكن هناك أثر لإنسان ... فهل كانت مصادفة؟

جلس قليلًا على غصن سميك ... وأحسَّ أن لغز اختفاء المجوهرات يخفي سرًّا كبيرًا لا أحد يعرفه ... ومضت فترة من الوقت ... وقرَّر «تختخ» أن يعود ... فقد أخذ الظلام يهبط سريعًا على الحديقة الواسعة ... وإذا كانت الشمس التي يعتمد عليها في تحديد خط سيره ستختفي بعد قليل، فمن الأفضل أن يعود قبل أن يفقد طريقه نهائيًّا ... ولكن هذا القرار جاء متأخِّرًا ... فعندما نزل من على الغصن إلى الأرض، وبدأ السير، أدرك أنه قد ضلَّ طريقه في الحديقة المترامية الأطراف ... وأحسَّ بالارتباك؛ فقد سمع نباح الكلاب ينطلق من أماكن متعدِّدة في الحديقة ... وتذكَّر أحجامها الكبيرة، ونظراتها الشرسة ... وتأكَّد أنها إذا التقت به فستكون نهايته ... خاصةً لن يتدخَّل أحد لينقذه منها ...

وسار محاولًا أن يتذكَّر الطريق الذي سار منه ... وأخذ يسير من ممر إلى ممر دون أن يجد علامةً تدلُّه ... ووجد نفسه قد دخل في ممرَّات غير ممهَّدة ... وبين فترة وأخرى كان يقع على الأرض ... وخُيل إليه في بعض الأحيان أنه سمع ضحكةً بعيدةً تأتي من أماكن متعدِّدة ... وساد الظلام والصمت ... وأخذ نباح الكلاب يقترب ...

بدأت أعصاب «تختخ» تتوتَّر تدريجيًّا ... وأحسَّ أنه في حاجة لأن يصرخ بأعلى صوته على أحدٍ يأتي إليه ... ووجد نفسه دون أن يدري يجري ويجري ... كان يصطدم بالفروع المتدلية ... ويرتطم بالأرض ... ولكنه مضى يجري ونباح الكلاب يطارده ...

وأدرك أنها ستصل إليه عاجلًا ... وأنها ستمزِّقه ... كان الحل الوحيد أمامه أن يصعد إلى إحدى الأشجار العالية ويربض فوقها؛ فإن الكلاب لا تتسلَّق الأشجار ...

وأسرع إلى أقرب شجرة إليه ... وفي هذه اللحظة ارتطم شيء قوي برأسه ... ودار حول نفسه دورةً كاملة، ثم سقط على الأرض ... ودارت الدنيا به ...

وسمع نباح الكلاب ... وفي نفس الوقت سمع الضحكة المجهولة التي كانت تتبعه ... وخُيِّل إليه أنه يسمع صوت أقدام تقترب ... ثم تتوقَّف ... وسمع صوتًا ينهر الكلاب ... فاستجمع كل قوته ووقف ... وحاول أن يسير مرةً أخرى ... كان رأسه ثقيلًا كأنه امتلأ بالرصاص ... وساقاه ترتعدان بشدة كأنما تحوَّلتا إلى خيوط ... وفجأةً انثنت إحدى قدمَيه تحته ... ومال سريعًا وقد أحسَّ أنها ستنكسر ... وارتمى على الأرض بشدة ... وارتطم رأسه بجذع شجرة ... وغام كل شي أمام عينَيه ... وسقط ستار كثيف من الظلام على رأسه ... وغاب عن وعيه ...

أريد أن أراك

عندما فتح «تختخ» عينَيه وجد نفسه ممدَّدًا على ظهره ... ورأى سقفًا من الخشب قد عُلِّقت عليه أشياء غريبة ... رءوس حيوانات محنَّطة ... زجاجات فارغة ... قِطع من الحبال والجنازير الحديدية ... وأدار رأسه ... وعرف على الفور أنه في كوخ خشبي قديم، وتذكَّر حديثه مع البواب «حسنين»، لا بد أنه الآن في كوخ البستاني الأبله ... «نسيم»، والتفت إلى الجانب الآخر من الكوخ ... وطالعه وجه عجيب ... واطئ الجبهة ... عريض الأنف ... ضيق العينَين ... بارز الذقن ... والشيء الغريب أنه كان شديد الأناقة ... ولاحظ «تختخ» على الفور أنها أناقة أصيلة تنم عن ذوق رفيع ...

كان «نسيم» يجلس في هدوء ... وبجانبه بوتاجاز صغير مشتعل، عليه إبريق الشاي ... وكانت عيناه مثبتة على «تختخ» في نظرة شبه نائمة ولكنها حادة ... نظرة ثعبان ... وأحسَّ «تختخ» بآلام في رأسه وساقه ... وبشيء من القلق وهو يجلس مع هذا الأبله في مكان واحد ... وتذكَّر شيئًا قرأه عن المجانين ... تعريف يقول: إن المجنون شخص لا يعرف ماذا سيفعل في اللحظة التالية ... فمع الشخص العاقل تستطيع أن تتوقَّع بعض التصرُّفات، أمَّا مع العبيط والأبله والمجنون فلا تستطيع أن تعرف في أي شيء يفكِّر ... وكيف سيتصرَّف ... والتقت عيناه في نظرة خاطفة ... وفجأةً قال «نسيم»: إنك لا تبحث عن الكلب ... إنك تبحث عن شيء آخر ...

كانت كلماته تندفع من بين شفتَيه ناعمةً هادئة ... ولكنها منذرة بالشر ...

وردَّ «تختخ» بهدوء: هل هناك شيء آخر ضائع؟

قال «نسيم»: إن هذا العالم مِلكي أنا ... ومن الخطأ أن تتحرَّك فيه دون أن تسألني ...

تختخ: إنني لم أكن أعرف أنه مِلكك ...

نسيم: سيقولون لك كلامًا كثيرًا عني ... يجب ألَّا تصدِّقه ... وفي نفس الوقت فأنا لن أدافع عن نفسي.

تختخ: ولماذا تدافع عن نفسك؟ ... هل أنت متهم بشيء؟

ضحك «نسيم» فجأةً ضحكةً مدوية ... ثم لاذ بالصمت ... وانصرف إلى إعداد الشاي ... ومرةً أخرى أدهش «تختخ» أنه قام إلى دولاب في الحائط ... وأحضر طقمًا من الصيني الفاخر ... وأعد الشاي بطريقة بارعة ... ثم حمل الصينية ودفعها إلى مائدة صغيرة بجانب الفراش ... ونظر «تختخ» إلى الصينية ... ولاحظ كم هي نظيفة ولامعة ... وبجوار الفناجين الأنيقة كانت هناك علب من البسكويت ماركة «ماكنشون» الشهيرة، وكان هذا شيئًا مدهشًا بالنسبة لبستاني ...

قال «تختخ»: أشكرك كثيرًا ...

وظلَّ «نسيم» صامتًا ... واقترب بكرسيه من الفراش ... وأخذ يصب الشاي بيد مدرَّبة ... ثم مدَّ يده بالفنجان إلى «تختخ» فتناوله ... ورشف منه رشفة ... وأحسَّ بالراحة ... فقد كان نوعًا فاخرًا من الشاي لذيذ الطعم ...

مرةً أخرى جاءت المفاجأة ...

قال «نسيم»: العِقد الأحمر ...

وانتظر «تختخ» لاهث الأنفاس ما سيقوله «نسيم» بعد هذا ... ولكن «نسيم» لاذ بالصمت ... وأخذ يرشف الشاي في هدوء وكأنه لم يقل شيئًا ... وتصوَّر «تختخ» فجأةً من يمكن أن يكون الزائر الغامض ... ولكن «نسيم» عاد يقطع حبل تفكيره، وبدَّد الصمت قائلًا: ليس مُهمًّا ما يقوله الناس ... وسكت لحظات، ثم عاد يقول ... كان أبي يردِّد هذه الجملة كثيرًا ... لا يهم ما يقوله الناس ... المهم أن تكون مرتاح الضمير ...

انتهز «تختخ» الفرصة وقال: ماذا عن العقد الأحمر؟ ...

حوَّل «نسيم» عينَيه إلى «تختخ» وثبَّتهما عليه طويلًا دون أن يرد ... وأدرك «تختخ» أن «نسيم» يعرف الكثير ... وتمنَّى أن يحصل منه على أية معلومات، ولكن في هذه اللحظة سمعا صوت أقدام تقترب ... ثم فُتح الباب فجأةً وظهر رجل طويل القامة شديد الأناقة ... أدار بصره في الكوخ سريعًا حتى استقرَّ على «تختخ»، فقال على الفور: ما الذي جاء بك إلى هنا؟

وجد «تختخ» نفسه دون أن يدري يغادر الفراش ... وأحسَّ بدوار خفيف ... ولكنه استطاع أن يقف ثابتًا، ثم قال: أرجو أن أعرف من أنت يا سيدي؟

ردَّ الرجل في ضيق: أنا الذي أسأل في هذا المكان! ... من أنت؟ وكيف دخلت هذا الكوخ؟

ردَّ «تختخ» على الفور: أمَّا من أنا ... فاسمي «توفيق»، وأمَّا كيف دخلتُ هذا الكوخ فهذا ما لا أعرفه ...

قال الرجل وهو يستدير خارجًا: إذن اتبعني من فضلك ...

ووضع «تختخ» فنجان الشاي الذي كان ما زال يمسكه في يده ... ثم تبعه على الفور ... وعندما أوشك أن يغادر الكوخ نظر إلى «نسيم» وتبادلا نظرةً خُيل لـ «تختخ» أنها تعني أشياء كثيرة ... فقال: أشكرك كثيرًا على ضيافتك الكريمة ... وأرجو أن نلتقي سريعًا ...

ولم يردَّ «نسيم»، وعندما أوشك «تختخ» أن يغادر الكوخ ... وقعت عيناه فجأةً على شيء ملقًى بجوار أحد جذوع الأشجار التي يقوم عليها الكوخ ... كان سلسلةً من سلاسل الكلاب ... وفي الطوق عُلِّقت قطعة معدِنية ... عرف على الفور أنها الرخصة التي تُعلَّق في رقبة الكلاب ... ولكنه لم يستطِع أن يتبيَّن الرقم ...

خرج إلى الهواء الطلق ... كان الظلام حالكًا ... ولكن بعض الأضواء البعيدة كانت تنير الطريق ... وسار خلف الرجل ... وعندما ابتعدا عن الكوخ بمسافة ... التفت إليه الرجل وقال له: إنك لم تتعرَّف عليَّ ... أنا المهندس «سامح صديق» ...

قال «تختخ»: لقد توقَّعت ذلك يا سيدي ...

عاد الرجل يقول: أرجو أن تغفر لي خشونتي معك ... ولكني فوجئت بوجودك مع «نسيم» وهو أبله ... وقد خشيت أن يصيبك بضرر ...

تختخ: لقد كان رقيقًا معي ...

سامح: هكذا هو أحيانًا ... وفجأةً يثور ويحطِّم ما حوله ... ويؤذي من هو قريب منه ...

وانحرف المهندس «سامح» في طريق ضيق ... وفوجئ «تختخ» أنه أصبح أمام الفيلا ... ونظر إلى ساعته ... كانت التاسعة ...

فتح المهندس «سامح» بابًا ... وأشار لـ «تختخ» فدخل ... وعرف «تختخ» على الفور أنه في المكتبة التي وقعت بها السرقة ... كانت غرفةً جميلةً لم يرَ مثلها في حياته. كانت صفوف الكتب الأنيقة تمتد في صفوف منتظمة على الأرفف الخشبية اللامعة خلف الزجاج، وقد وُضعت في أركان الغرفة مجموعة من الزَّهريَّات الكريستال الفخمة ... تمتد منها سيقان من الأزهار النادرة ... وفي طرف الغرفة وُضع مكتب ضخم ... وبجواره مكتب

آخر ممَّا يُستخدم في الرسومات الهندسية ... وأشار المهندس «سامح» إلى «تختخ» ليجلس قائلًا: تفضَّل بالجلوس ... وسأعود إليك بعد لحظات ...

وخرج المهندس «سامح» من باب جانبي ... ووقعت عينا «تختخ» على الخزانة ... وقفز في خطوات خفيفة واقترب منها وأخذ يتأمَّلها ... كانت تحفةً في الدقة والمتانة ... وأدرك «تختخ» أنه لا يمكن للص مهما كان أن يفتح هذه الخزانة المصفَّحة بغير مفاتيحها الأصلية ... ثم ألقى نظرةً على ما حوله ... وتذكَّر الوقائع التي ذكرها المفتش عن سرقة المجوهرات ... ثم عاد «تختخ» إلى مكانه ... وجلس هادئًا وقد أحسَّ برأسه يدور لفرط ما رأى وسمع ... كانت هناك حكاية «نسيم» الأبله ... والكوخ الأنيق العجيب من الداخل ... وسلسلة الكلب التي يعتقد أنها سلسلة «مودي»، وحكاية المهندس «سامح» عن «نسيم» ... وقبل أن يسترسل في أفكاره ... دخل المهندس «سامح» مبتسمًا وقال: آسف لأنني عَطلتك ... لقد عرفت الآن من زوجتي أنك حضرت للبحث عن كلب أسود من نوع «الطانين» فقدَته صاحبته أمام الفيلا ... هل هذه المعلومات صحيحة؟

تختخ: إنها صحيحة ...

سامح: أؤكِّد لك أنه لم يدخل حديقة الفيلا — على حد علمي — أي كلب ... فكلاب الحراسة التي في الحديقة تمنع كائنًا من كان أو ما كان من دخول الحديقة دون إذني ... أو إذن «حسنين» البواب ... وهو لم يخبرني بهذا الكلب ...

تختخ: في هذه الحالة تنتهي مهمَّتي يا سيدي ...

سامح: على كل حال إنني سعيد بأن أراك ... فقد سمعت أنك مغامر جريء ... ومن هواة حل الألغاز البوليسية ... ونحن نشترك معًا في هذه الهواية ...

تختخ: لقد لاحظت وجود مجموعة كبيرة من الروايات البوليسية بين كتب المكتبة ...

سامح: نعم ... وكلما سافرت أحضرت أحدث ما صدر منها في العالم ...

وقف: «تختخ» مبديًا رغبته في الانصراف، فقال المهندس: ابقَ للعشاء؟

تختخ: شكرًا لك يا سيدي ... ولكني تأخَّرت عن العود إلى منزلي ... فلم أكن أتوقَّع أن أتغيَّب كل هذه المدة ...

وقف المهندس «سامح» وقال: سآتي معك ... فالكلاب طليقة الآن ... ولا أظنك على استعداد لملاقاتها ... إنها شديدة التوحُّش ...

أحسَّ «تختخ» أن ثمة إنذارًا يوجَّه إليه فقال: بالطبع في هذه الظروف لا أظن أنني أرحِّب بمقابلتها ...

وتحرَّك «تختخ» خارجًا ... وتبعه المهندس «سامح»، وسارا معًا في ظلام الحديقة ... على الأضواء البعيدة ... وكانت الكلاب تتبعهما مزمجرة ... والمهندس ينهرها بشدة حتى لا تقترب من «تختخ»، ومشيا طويلًا ... ودُهش «تختخ» لمساحة الحديقة ... وللمسافة البعيدة بين الفيلا والمدخل ...

ووصلا إلى الباب الحديدي ... وقال المهندس وهو يصافح «تختخ» مودِّعًا: أرجو أن تجد الكلب الذي تبحث عنه ... وأؤكِّد لك أنه ليس في هذه الحديقة ... فليس لنا أية مصلحة في إخفائه ...

وخرج «تختخ» وأغلق البواب الباب الحديدي الضخم ... ولا يدري «تختخ» لماذا توقَّف بعد لحظات، وعاد متلصِّصًا بجوار السور ... ولكنه سمع صوت المهندس «سامح» الغاضب وهو يؤنِّب «حسنين» البواب ... كان يصيح به: لقد قلتُ لكَ ألف مرة ألَّا يدخل أحد الحديقة دون إذنٍ مني! ...

حسنين: ولكن يا سيدي ... لقد أمرَت السيدة «عواطف» بذلك ...

سامح: قلتُ لك لا بد من إذن مني ... أنت تعرف «نسيم» ... إنه مجنون ... وكان من الممكن جدًّا أن يقتل هذا الولد ونقع في مشكلة ...

حسنين: آسف يا سيدي ... لن يتكرَّر هذا مستقبلًا ... وسمع «تختخ» صوت أقدام «سامح» وهو يتحرَّك مبتعدًا ... فسار مسرعًا في طريقه إلى منزله ... كان يسير بجوار السور ... وأحسَّ أن ثمَّة شخصًا يتبعه ... وتوقَّف ونظر حوله ... لم يكن هناك أحد على الإطلاق ... ولكنه سمع صوتًا يأتي من خلف السور ... صوت «نسيم» يقول له: عُد مرةً أخرى، عندما تتمكَّن من ذلك ... إنني أريد أن أتحدَّث إليك ...

وسَرت رِعدة في بدن «تختخ» وهو يسمع هذا الكلام ... أيعود للحديث مع الأبله المجنون؟! ...

وظهر الشاويش

تسلَّل «تختخ» إلى غرفته … وكان في أشد الحاجة لأن يخلو إلى نفسه ويفكِّر في كل ما حدث … كان يشعر أنه عاد من رحلة بعيدة في قلب الأدغال … وليس من منزلٍ في المعادي لا يبعد سوى بضعة شوارع من منزله … وكان في رأسه طنين يدوِّي كالنحل من كثرة ما رأى وسمع … وعليه أن يرتِّب هذه المعلومات والمشاهدات كلها حتى يمكن أن يخرج منها باستنتاجات محدَّدة … واغتسل وتمدَّد في فراشه يفكِّر … ولكنه لم يفكِّر طويلًا؛ فقد استولى عليه النوم … ولم يستيقظ إلا في السابعة من صباح اليوم التالي … وعندما جلس على طرف الفراش أخذ يتذكَّر كل ما حدث بالأمس كأنه حلم من الأحلام … وأيقظته من هذه الأحلام معدته … فقد أحسَّ بآلام الجوع تقرصه … وتذكَّر أنه لم يتعشَّ أمس … فقفز سريعًا …

وبعد أن اغتسل وغيَّر ثيابه نزل سريعًا إلى المطبخ حيث تناول إفطاره وحيدًا، ثم أسرع إلى التليفون، واتصل ببقية المغامرين … وطلب منهم اللقاء فورًا في حديقة منزل «عاطف» كالمعتاد …

اكتمل عدد المغامرين الخمسة في التاسعة إلا ربعًا بالضبط … ولم يكن أي أحد منهم يتصوَّر ما حدث لـ «تختخ» أمس … لهذا قال «تختخ» متسائلًا: هل من معلومات جديدة حول سرقة عِقد اللؤلؤ الأحمر؟

هزَّ المغامرون رأسهم نفيًا فقال «تختخ»: بين الساعة السادسة مساءً حتى التاسعة والنصف تقريبًا … وقعت مجموعة من الأحداث الغريبة لي … يهمُّني جدًّا أن تلتفتوا إليها … لعلنا نعثر بين ما سمعنا من المفتش … وبين ما سمعتُه ورأيتُه أمس، على مفاتيح هذا اللغز …

وبدا الاهتمام على وجوه المغامرين الأربعة ... حتى «زنجر» الذي صحب «تختخ» في حضوره هزَّ ذيله ... ثم اعتمد على ساقَيه الأماميتَين ... ورفع أذنَيه يستمع. قال «تختخ»: تركتكم أمس عندما استدعتني والدتي ... وعندما وصلت إلى المنزل ... وجدت إحدى صديقاتها معها ... ولهذه الصديقة كلب من نوع «الطانين» يدعى «مودي» ... وقد اختفى «مودي» في نفس موعد ومكان حادث سرقة اللآلئ ...

قالت «لوزة» متسرِّعة: وهل هناك رابطة بين اختفاء «مودي» والسرقة؟ ...

تختخ: هذا ما لا أستطيع أن أؤكِّده أو أنفيه ... ولكن سأروي لكم كل ما حدث أمس ... وعلينا جميعًا محاولة الربط بين الحادثَين ...

وتنهَّد «تختخ»، ثم مضى يروي للمغامرين ما حدث له منذ وصوله إلى فيلا المهندس «سامح صديق» حتى عودته إلى منزله ... وقد كانت المغامرة مشوِّقة، حتى إن المغامرين الأربعة لم يقاطعوه بسؤال واحد حتى انتهى من قصته كلها ... ثم أخذ نفسًا عميقًا واستلقى في كرسيه إلى الخلف ... كأنما كان يجري في سباق ...

وساد الصمت فترةً طويلةً بعد أن انتهى «تختخ» من روايته، وأخذ كل واحد من المغامرين يدير المعلومات في رأسه ... محاولَةً لاستخلاص النتائج ... وقطع حبلَ الصمت «محب» سائلًا: هل وصلت أنت يا «تختخ» إلى نتائج محدَّدة فيما حدث أمس؟ ...

تختخ: لا أستطيع أن أقول إنني وصلت إلى نتائج محدَّدة ... ولكني أعتقد أن «نسيم» الأبله له دور هام في هذه الأحداث كلها ... ومن المدهش أن المفتش «سامي» لم يذكر اسمه في موضوع السرقة ...

نوسة: من الواضح أنهم أخفَوا اسمه تمامًا عن المفتش ...

عاطف: بالطبع لأنه أبله ... فما هو الدور الذي يقوم به رجل عبيط في هذه القصة كلها؟

لوزة: لا تنسَ يا «عاطف» أن الأبله «شعبان» هو الذي حل لغز «عبيط القرية» الذي قمنا به في قرية «برج البُرلس» ... فعادةً يحصل الأبله على معلومات كثيرة لأن الناس تطمئن إليه ... وتعتقد أنه ليس خطرًا على ما يفعلون؛ لأن أحدًا لن يصدِّقه ...

محب: هذا معقول جدًّا ... ولكن ما هو الدور الذي قام به «نسيم»؟

سارعَت «نوسة» تقول: هل يكون هو الزائر الغامض؟ ...

كان سؤالها أشبه بقنبلة انفجرت في وسط المغامرين ... فقد نظروا إليها جميعًا مدهوشين عدا «تختخ» الذي هزَّ رأسه في بساطة قائلًا: ليس هذا بمستبعد لسبب بسيط ... إن ملابس «نسيم» وأسلوب حياته ... والطريقة التي قدَّم بها الشاي، تؤكِّد أنه ليس

بستانيًّا عاديًّا ... إنه رجل مثقَّف إلى حدٍّ بعيد ... وصحيح أنه يتحدَّث أحيانًا حديثًا غير معقول ... أو لا رابط بينه ... ولكن من المؤكَّد أنه يفهم كثيرًا ... ويعرف كثيرًا ...

عاطف: في هذه الحالة ... هل من الممكن أن يتنكَّر في ملابس الزائر «روجر كولي» ويسرق المجوهرات بما فيها عِقد اللؤلؤ الأحمر؟

تختخ: إنني لم أرَ «روجر كولي» حتى أحكم ... ولكن من الأوصاف التي أعطاها لنا المفتش أستبعد ذلك ... «روجر» أشقر وأزرق العينَين ... «ونسيم» أسمر ... وأسود العينَين ...

محب: ليست مشكلةً يا «تختخ» ... فأنت تتنكَّر في أشكال مختلفة ... وتضع باروكةً شقراء، ولا أحد يعرفك ...

عاطف: ولون العينَين؟

محب: من المعروف أن هناك عدسات تلتصق بالعيون ... يمكن أن تغيِّر لون العينَين تمامًا مثلما تلبس نظارةً زرقاء أو صفراء ... وعدد كبير من الناس يضع هذه العدسات التي تلصق على حدقة العين، وتحل محل النظارات ...

نوسة: في هذه الحالة ليس من المستبعد أبدًا أن يكون «نسيم» قد عرف بزيارة «روجر كولي» وقام بعملية تنكُّر ... ودخل المنزل على أنه «روجر» وقام بالسرقة ...

ساد الصمت بعد هذه الاستنتاجات المفاجئة التي كشفت عن شخصية الزائر الغامض، ولكن «لوزة» قطعت حبل الصمت قائلةً في صوت غاضب: إن استنتاجاتكم بعيدة جدًّا عن الحقيقة ...

التفت إليها «عاطف» قائلًا: ولماذا أنتِ غاضبة؟ هل يهمك «نسيم» إلى هذا الحد؟

لوزة: ليس «نسيم» من يهمني ... ولكن الحقيقة هي التي تهمني ... إن «نسيم» لم يرَ «روجر كولي» مطلقًا ... فكيف يتنكَّر في ثيابه وشكله؟

ابتسم «تختخ» قائلًا: معك كل الحق ... ولكن هناك نقطة هامة ... إن «فتحي» السفرجي ... هو الوحيد الذي قابل الزائر الغامض ... وبما أنه لم يرَ «روجر» من قبل ... فمن الممكن أن يتصوَّر أن أي شخص أشقر أزرق العينَين هو «روجر كولي» ...

نوسة: في هذه الحالة لا بد أن تتم مواجهة بين «روجر كولي» وبين السفرجي «فتحي» حتى يتم التأكُّد من شخصيته ...

تختخ: في هذه الحالة علينا أن نتصل بالمفتش «سامي» ونطلب منه هذه المواجهة ...

وأسرعت «لوزة» تُحضر التليفون ... ولكن المفتش «سامي» لم يكن موجودًا في منزله أو مكتبه ... وعاد المغامرون يتناقشون من جديد، وقالت «نوسة»: إننا نسينا أهم عنصر في

هذا الموضوع كله ... هو أن «نسيم» قد دعا «تختخ» لمقابلته، وإنني أعتقد أن هذه المقابلة ستكشف كل شيء عن هذا اللغز ...

تختخ: لقد نسيتُ شيئًا هامًّا يا «نوسة» ... إنني عثرتُ على سلسلة الكلب في كوخ «نسيم»، ومع ذلك لم يُشِر بشيء إلى «مودي»، وهذا يعني أنه يستطيع أيضًا إخفاء المعلومات، ومن يستطيع إخفاء المعلومات يستطيع أن يضلِّلنا ...

محب: من الواضح أننا ندور في حلقة مفرغة ... وفي كل لحظة يضاف مُتَّهم جديد إلى قائمة المتهمين ... فبالإضافة إلى المتهمين الذين ذكرهم المفتش «سامي»، أُضيف مُتَّهم جديد هو «نسيم»، وليس عندنا أدلة كافية لإدانة أي واحد منهم ...

وسكت الجميع بعد هذه الملاحظة ... ولكن سكوتهم لم يستمرَّ طويلًا ... فقد ظهر في هذه اللحظة شخص نسوه تمامًا في غمرة الأحداث التي مرُّوا بها ... وعندما رأوه تحرَّك «زنجر» في مكانه ... فقال القادم الذي لم يكن سوى الشاويش «علي»: إذا لم توقفوا هذا الكلب عند حده فسوف أتخذ الإجراءات القانونية ضدكم ...

أشار «تختخ» لـ «زنجر» قائلًا: اجلس هادئًا يا «زنجر» ...

وتثاءب الكلب متضايقًا ... فقد كان يحب أن يمارس هوايته في العبث بساقَي الشاويش الذي أسرع بالجلوس في أقرب مقعد، ثم قال: طبعًا يدهشكم أن أظهر في هذا الوقت وأنتم مشغولون بالمناقشة في حل لغز اللآلئ المسروقة ... لقد قال لي المفتش «سامي» إنكم تعرفون.

قال «عاطف»: لقد عثرنا على اللآلئ يا شاويش ... واكتشفنا للأسف الشديد أنها مزيَّفة ... ولا تساوي إلا بضعة قروش ...

احمرَّ وجه الشاويش وتحرَّك شاربه حركةً غير إرادية، وقال بغضب: إنني لم أحضر من أجل هذه اللآلئ اللعينة ... ولا لسماع تعليقاتك الساخرة ... لقد جئت أبحث عن كلب ...

تختخ: هل تقصد الكلب «مودي»؟ ...

زاد احمرار وجه الشاويش وقال غاضبًا: أليس هناك شيء يحدث في هذا العالم لا تعرفونه؟!

إنني في النهاية سوف أترك لكم المعادي كلها ...

عاطف: إن المعادي بدونك لا تساوي شيئًا يا شاويش «علي» ...

الشاويش: إنني لن أردَّ عليك ... المهم الآن أنني أريد أن أسألكم عن الكلب «مودي»، ألم يرَه أحد منكم؟ ...

قال «تختخ»: لقد رأيته يا شاويش ...

صرخ الشاويش منفعلًا: أين؟ هل عثرت عليه؟

تختخ: لا يا شاويش ... لقد رأيته في صورة ...

وأخرج «تختخ» من جيبه صورة «مودي» التي أخذها من صاحبته وقال: أليس هذا هو الكلب الذي تبحث عنه؟

قال الشاويش: نعم ... إنه هو ... هل عثرتَ عليه؟

تختخ: قلت لك إنني لم أعثر عليه ... ولكني أنصح أن تبحث عنه في حديقة منزل المهندس «سامح صديق» في شارع «١٩» ...

الشاويش: هل عرفتَ أنه اختفى هناك؟

تختخ: نعم ... ولو بذلت بعض الجهد لعثرت عليه ...

قام الشاويش واقفًا ... وانطلق خارجًا من حديقة منزل «عاطف» و«لوزة» تصيح به: إنك لم تشرب شيئًا يا شاويش «علي»، وليس هذا من عادتك ... ولا عادتنا ...

ولكن الشاويش لم يتوقَّف ... ولم يلتفت حتى قفز إلى درَّاجته واختفى ...

قال «محب» موجِّهًا حديثه إلى «تختخ»: لماذا قلت له؟

تختخ: وهل نخفي معلوماتنا عن ممثلي القانون ... إن الشاويش «علي» له سلطات ليست لنا ... ولعله لو عثر على الكلب لكشف لنا بعضًا من غموض الأحداث التي تمر بنا ...

محب: وما هي خطتنا القادمة؟

تختخ: لقد قرَّرت أن أزور «نسيم» في الحديقة ... والمشكلة التي تواجهني ... كيف أصل إليه ... وقد سمعت المهندس «سامح» يأمر البواب بعدم إدخال مخلوق إلى الحديقة إلا بإذنه ... وفي نفس الوقت هناك هذه الكلاب الشرسة ...

نوسة: نستطيع أن نضع خطةً بسيطة ... فبعد أن يهبط الظلام سنذهب جميعًا إلى الحديقة وندور حولها ... وننادي على «نسيم»، فإذا ردَّ ... طلبنا منه أن يسهِّل لك مُهمَّة الدخول إليه والحديث معه ...

تختخ: إنها خطة معقولة جدًّا ... المهم أن يكون «نسيم» جادًّا فيما قال ... إنه كما يقولون أبله ... وقد ينسى كل ما حدث ويرفض مقابلتي ...

نوسة: إن علينا أن نحاول ... خاصةً أنك قد رأيت سلسلة الكلب «مودي» في كوخه ... ومعنى هذا أنه مشترك في الأحداث الأخيرة بشكل ما ...

تختخ: موافق ... ولنلتقِ في المساء هنا ...

وفي المساء ... اجتمع المغامرون الخمسة مرةً أخرى ... وجلسوا يتحدَّثون فترةً من الوقت حتى مالت الشمس للمغيب ... ثم انطلقوا واحدًا وراء الآخر حتى وصلوا إلى شارع «١٩»، ووزَّعوا أنفسهم حول سور الحديقة ... وقد اختار كلٌّ منهم شجرةً يختفي خلفها عن العيون ... وعندما هبط ستار الظلام ... بدأ الخمسة ينادون من خلال السور الحديدي الضخم ... «نسيم» ... «نسيم» ... «نسيم» ... «نسيم» ...

وفجأةً ردَّ «نسيم» بصوت هامس: من هناك؟

وكان على «لوزة» أن ترد فقد كانت أقرب الجميع إليه ...

السر الخفي

ردَّت «لوزة» بصوت مرتجف: أنا «لوزة» ... صديقة «توفيق» الذي كان عندك أمس ...

كان «نسيم» يتحدَّث من مكان خفي لا أحد يراه ... فقال: إنني لا أعرف أحدًا بهذا الاسم ...

وتذكَّرت «لوزة» أنه أبله وكما قال «تختخ» ... إنه قد ينسى كل ما حدث ... فعادت تقول: إنه الولد الذي تحدَّثتَ معه عن العِقد الأحمر ...

نسيم: لا أعرف شيئًا اسمه العِقد الأحمر ... اذهبي بعيدًا من هنا وإلا أطلقتُ عليكِ الرصاص ...

كان «محب» قريبًا من «لوزة» وسمع الحوار، فأسرع إلى «تختخ» قائلًا: إن «لوزة» تتحدَّث إلى «نسيم» ولكنه ينكر أنه يعرفك ...

أسرع «تختخ» إلى حيث كانت تقف «لوزة» في مكان مهجور من السور ... وسمع «لوزة» وهي تُحدِّث «نسيم» محاوِلَةً كسب الوقت قائلة: إننا نريد أن نساعدك ... نحن نعرف أنك مظلوم ...

كانت هذه الجملة رميةً أصابت الهدف ... فقد صاح «نسيم» بصوت جريح: إنني مظلوم ... مظلوم ... إنني تعس ...

لوزة: لهذا نريد أن نساعدك ... تذكَّر الولد الذي كان عندك أمس ...

وأضاف «تختخ» على الفور: إنني صديقك يا «نسيم». تذكَّر الحديث الذي دار بيننا ... لقد كان والدك يقول: «ليس مهمًّا ما يقوله الناس ... المهم أن يكون ضميرك مرتاحًا» ... وأنا أظن أن ضميرك يعذبك ...

نسيم: ولكن ... ولكن ...

تختخ: لا تخشَ شيئًا ... إننا جميعًا أصدقاؤك ...

نسيم: إن «سامح» سيعاقبني ... إنه لا يريد أن يدخل أحد إلى الحديقة ... ولكن ... الحديقة ... الحديقة ...

تختخ: ماذا بشأن الحديقة؟

نسيم: لا أستطيع ... اذهبوا بعيدًا وانسَوا كل شيء ...

تختخ: والكلب الأسود الصغير ... لقد دخل عندكم ... والشرطة تبحث عنه ... وقد يقبضون عليك ...

صاح «نسيم» بجنون: الكلاب هي التي فتكت به ... ولكني أحاول إنقاذه ...

تختخ: إذن دعني أدخل وأراه ... لا تخشَ شيئًا ...

ساد الصمت لحظات، ثم قال «نسيم»: امشِ بجوار السور حتى الجانب المهجور في الشارع الخلفي ... وهناك باب سري لا يعرفه أحد ... سأذهب لإحضار المفتاح ...

وسار «تختخ» سريعًا ومعه «محب»، وقالت «نوسة»: هل ننتظر في الخارج؟

تختخ: سأدخل أنا و«محب»، وعودوا أنتم إلى منازلكم ... فإذا لم نعُد بعد ساعتَين فاتصلوا بالمفتش «سامي» وأخطروه بكل ما حدث ...

نوسة: ولماذا لا نتصل به الآن؟

تختخ: من المؤكَّد أن أي تدخُّل من جانب الشرطة سوف يفسد الأمور ... ولن يتحدَّث «نسيم» بكلمة واحدة ...

ولم يكد «تختخ» ينتهي من جملته حتى شاهدوا الشاويش «علي» يقترب من السور وهو يسير بخطوات سريعة ... فقال «تختخ»: «عاطف» ... عليك بإبعاده فورًا وإلا أفسد كل شيء ...

وأسرع «عاطف» ناحية الشاويش ... في حين استمرَّ «تختخ» و«محب» في سيرهما ... ووقفت «نوسة» و«لوزة» تحت شجرة حتى لا يراهما الشاويش ... أسرع «عاطف» لأداء مُهمَّته وهو يفكِّر فيما سيقوله للشاويش ... وخطرت له فكرة ... اعترض طريق الشاويش الذي صاح: ماذا تفعل هنا في هذه الساعة؟! ...

تظاهر «عاطف» بالإسراع في مِشيته وهو يقول: لا تعطِّلني يا شاويش عن أداء مُهمَّتي، لقد شاهدت الكلب الآن ...

الشاويش: الكلب الأسود؟!

عاطف: نعم ... وإن كنت لست متأكِّدًا ... لقد شاهدت شخصًا يحمله بين يدَيه ويسرع به هذه الناحية ...

وأسرع «عاطف» يجري ... دون تردُّد أسرع الشاويش خلفه وهو يصيح ... انتظر يا «عاطف» ... إنها ليست مُهمَّتك ... إنها مُهمَّتي أنا ...

ولكن «عاطف» أسرع في جريه ... واضطُر الشاويش إلى الإسراع خلفه ... وهنا ظهرت «نوسة» و«لوزة»، وقالت «نوسة»: يجب أن نساعد «عاطف» فإن الشاويش إذا اكتشف أنه يضحك عليه فسوف يعاقبه ...

لوزة: سنلف من الشارع ... ونواجههما ... وسوف نقول إننا أيضًا قد شاهدنا الرجل الذي يحمل الكلب ...

وأسرعت الفتاتان في الطريق المتقاطع ... وبعد لحظات شاهدا الشاويش وهو يجري خلف «عاطف» فأسرعتا إليه ... وسرعان ما اشتبكا معه في حوار حول الرجل الذي يحمل الكلب ...

وفي هذه الأثناء كان «تختخ» و«محب» قد دارا حول الحديقة ... ووقفا في الجانب الخلفي الذي يطل على أرض فضاء مهجورة ... ووقفا يحدِّقان في الظلام ... ومضت فترة طويلة دون أن يظهر «نسيم»، وقال «محب» هامسًا: لقد تأخَّر «نسيم» طويلًا ...

قال «تختخ»: فعلًا ... لعله نسي كل شيء عن وجودنا ... على كل حال سننتظر فترةً أخرى ...

ومضى وقت طويل ... ونظر «تختخ» إلى ساعته ... كانت قد تجاوزت التاسعة والنصف، وأحسَّ بضيق عنيف ... فبعد ما أحسَّ أنه اقترب من حل لغز المجوهرات المسروقة ... وكشف سر اختفاء الكلب الأسود الصغير؛ تلاشى كل شيء ...

قال «تختخ» لـ «محب»: ما رأيك يا «محب»؟ ... سأدخل الحديقة ...

محب: في هذه الحالة لا بد أن أدخل معك ... ولكن المهم ... ماذا تتوقَّع أن تجد؟

تختخ: لا أدري ... ولكني لا أستطيع العودة خاوي الوفاض عن هذه المغامرة ... هيَّا بنا ...

وتسلَّقا السور ببراعة حتى وصلا إلى أطراف الأشجار العالية فتعلَّقا بها ... كان «محب» أرشق وأسرع ... فانتظر «تختخ» حتى وصل، ثم قال: لقد نسينا الكلاب ... من المؤكَّد أنها ستسرع خلفنا فور الإحساس بوجودنا ...

تختخ: هذا صحيح ... ولكن ثمَّة شيء هام ... إنها لم تنبح حتى الآن منذ دخلنا ... ولعل «نسيم» عندما قرَّر دعوتي للدخول أدخلها إلى حظائرها ...

وصمت «تختخ» قليلًا، ثم قال: في جميع الأحوال ... إذا أحسسنا باقتراب الكلاب فعليك أن تتسلَّق أقرب شجرة إليك ... صحيح أن أمر دخولنا سينفضح ... ولكن من الأفضل أن يحدث هذا بدلًا من أن تمزِّقنا الكلاب ... ونزلا إلى أرض الحديقة فقال «محب»: هل سنذهب إلى الكوخ؟

ردَّ «تختخ»: بالطبع ... هذا هو المكان الوحيد الذي يمكن أن نعثر فيه على «نسيم»، وأظن أنه في اتجاه اليمين ... اتبعني ولكن قريبًا مني ... ففي هذه الحديقة من الممكن أن يتوه الإنسان كما يتوه في الغابة ...

سارا بهدوء في الاتجاه الذي أشار إليه «تختخ»، وظلَّ الصمت يلف المكان ... فلا صوت هناك لكلاب ... ولا لأي شيء آخر ... كأنما سقط جدار من الصمت على الحديقة الضخمة ... وبعد فترة مدَّ «تختخ» ذراعه ليمنع «محب» من التقدُّم وقال: اسمع ...

وأصاخ «محب» السمع ... وخُيل إليه أنه يسمع صوت رجلَين يتصايحان ... وهمس «تختخ»: أعتقد أننا قريبان من الكوخ ...

وسارا بخطوات بطيئة في اتجاه الصوت ... وبعد لحظات شاهد خيطًا من الضوء الرفيع يمتد من نافذة مغلقة ... فقال «تختخ» بصوت خفيض: هذا هو الكوخ ...

كان صوت الرجلَين قد أصبح واضحًا ... وهمس «تختخ»: إنهما «نسيم» و«سامح» ... وتقدَّما خطوتَين حتى التصقا بجدار الكوخ، وسمعا أحد الرجلَين يقول صارخًا: لم يبقَ لك مقام هنا! ... إنك تخونني! ...

قال «تختخ» لـ «محب»: هذا صوت «سامح» ...

ردَّ «نسيم»: إنني لن أغادر هذا المكان ... فهذه أرضي ...

ضحك «سامح» وقال: أرضك! ... لم يعُد لك أرض ... والشيء الوحيد الباقي لك عندي قد سُرق وانتهى الأمر ...

نسيم: سوف يسترده رجال الشرطة ...

سامح: أنت أبله ... لن يسترد رجال الشرطة شيئًا ... لقد مضت خمسة أيام ... ولم يتقدَّموا خطوةً واحدة ... وبصراحة ... أنا أشك فيك ...

نسيم: أنا! ... كيف أسرق ما هو حق لي؟! ...

سامح: قلت لك ألف مرة لم يعُد لك أية حقوق ... لقد أنفقت على علاجك أُلوف الجنيهات ... وسمحت لك بالإقامة في هذا الكوخ ... ولكنك تعصي أوامري ... قلت لك اذهب وألقِ بالكلب الأسود الصغير بعيدًا ... وها أنا ذا أجده ما زال موجودًا هنا ... لقد احتفظتَ به برغم تعليماتي ...

نسيم: لقد كاد يموت ... فتكَت به الكلاب الكبيرة ... كيف أترك كلبًا مسكينًا يموت؟!

سامح: ما دمت قد قلتُ لك شيئًا لا بد أن تنفِّذه ... ثم ها أنت ذا تخونني وتطلب مقابلة هذا الولد السمين. لقد سمعت حديثك معه خلال السور ... كنت أتبعك دون أن تدري ... وقد جئتَ لتأخذ المفاتيح وتفتح له الباب القديم ...

نسيم: كنت أريد أن أعطيه الكلب المسكين وينتهي الأمر ...

سامح: تعطيه الكلب الصغير وينتهي الأمر ... ألم أقل لك إنك أبله ... إن هذا الولد معه مجموعة من الأولاد يدسُّون أنوفهم في كل شيء ... ولو سلَّمته الكلب فسوف يسأل لماذا احتفظنا به كل هذه المدة عندنا ... لماذا أنكرنا وجوده ... وماذا يقول الناس عني؟ ...

نسيم: كان أبي يقول ليس مهمًّا ما يقوله الناس ... المهم هو الضمير ...

سامح: دَعك من هذا الهراء ... والآن اجمع حاجيَاتك وانصرف ... ولا تعُد لهذا المكان ثانية ... وسوف أرسل لك مبلغًا من المال شهريًّا ...

نسيم: لن أغادر هذا المكان حتى أحصل على حقي ...

سامح: في هذه الحالة سوف أعيدك إلى مستشفى المجاذيب ... لقد دخلتَها بضع مرات ... وسأجد وسيلةً لإعادتك إليها ...

نسيم: في هذه الحالة سوف أقول كل شيء عن الكلب ...

ضحك «سامح» ضحكةً عاليةً وقال: ومن يصدِّق مجنونًا مثلك؟ ... من يصدِّق أنني أخفي كلبًا صغيرًا عندي؟ ...

نسيم: إذن لماذا أخفيته؟ ... لماذا لم تُعِده لصاحبته؟ ...

سامح: ليس هذا من شأنك ... هيا غادر هذا المكان ...

نسيم: وإلى أين أذهب في هذا الليل؟ ...

سامح: إذن تبقى للصباح ... ثم تغادر المكان ... هل فهمت؟!

لم يردَّ «نسيم». وفتح «سامح» باب الكوخ ... وشاهد الصديقان شبحه ... وانكمشا في مكانهما لا يتحرَّكان ... وبعد لحظات تحرَّك «سامح» مبتعدًا ... ووقف «تختخ» و«محب» صامتَين ... لقد سمعا حوارًا لم يتصوَّرا حدوثه مطلقًا بين صاحب البيت وبستاني يعمل عنده ... كان واضحًا أن ثمَّة رابطةً تربط «نسيم» و«سامح» أقوى من رابطة بستاني بصاحب البيت ... ولم يطُل تفكيرهما ... ففي هذه اللحظة سمعا نباح الكلاب ينطلق من مكان ما من الحديقة ... ثم سمعا صوت الأقدام القوية وهي تدق الأرض في اتجاههما ... وأيقنا أنهما وقعا في مصيدة ... ووقفا مذهولَين لا يعرفان ماذا يجب أن يفعلاه ... في هذه اللحظات الخطيرة ...

حكاية الدكتور «نسيم»

كانت الكلاب تندفع نحوهما كأنها عاصفة من الشر أُطلقت من عِقالها ... وشَلَّت لحظات الخطر الوشيكة الوقوع قدرتهما على الحركة حتى ظهرت عيون الكلاب في الظلام وهي تشتعل كالجمر ... في هذه اللحظة فقط اندفع «محب» يجُر «تختخ» معه، واندفعا داخلَين إلى الكوخ ... وأغلقا الباب خلفهما ... ثم وقفا ينظران إلى المشهد أمامهما ... كان «نسيم» يجلس محدِّقًا أمامه كأنه لا يرى شيئًا ... وقد قبع كلب أسود من نوع «الطانين» بين ذراعَيه ... وقد رُبط بالشاش والقطن في أكثر من موضع ... ولم يشكَّ المغامران لحظةً واحدةً أنه لا بد أن يكون الكلب «مودي» ...

أفاق «نسيم» مع وجودهما عندما سمع صوت الكلاب وهي تحاصر الكوخ وتدق الجدران بمخالبها، فنظر إليهما في دهشة وسأل: كيف دخلتما؟ ...

ردَّ «تختخ»: تسلَّقنا السور ... وحتى لا نضيع وقتًا طويلًا في الحديث ... أقول لك إننا استمعنا إلى الحوار الذي دار بينك وبين المهندس «سامح»، ونحن نرجو أن تعتبرنا أصدقاءك وتقول لنا ما هي الحكاية بالضبط ...

نسيم: أي حكاية؟ ...

تختخ: من الواضح أنك لست بستانيًّا يعمل في هذا المكان ... وقد عرفتُ هذا منذ رأيتك ... وبعد الحوار بينك وبين المهندس «سامح» فهمنا أن لك حقوقًا في هذا المكان ... وسمعنا أنه يتهمك بسرقة المجوهرات ... والعِقد الأحمر على الخصوص ... فما هي حقيقة كل هذا الموقف؟ ...

نسيم: وماذا يهمُّكما في هذا الأمر؟

تختخ: ربما يكشف لنا عن سرقة العِقد الأحمر وبقية المجوهرات؟

ربت «نسيم» على الكلب وقال: سأقول لك كل شيء ... الحقيقة أنني لست بستانيًّا بالمعنى المفهوم ... وإن كنت أعمل بالزراعة ... فإنني أحمل درجة الدكتوراه في أمراض النبات ...

وبدا الذهول على وجه «تختخ» و«محب»، ونسيا نباح الكلاب حول الكوخ ... ومضى «نسيم» يقول: وأنا أيضًا أخ للمهندس «سامح» فاسمي هو «نسيم صديق»، ولكننا لسنا شقيقين ... الأب واحد ... والأُمَّان مختلفتان ... فعندما تُوفيت والدته ... تزوَّج أبي وأنجبني ...

وتنهَّد «نسيم» ومضى يقول: وقد عشت أكثر حياتي في ألمانيا حيث درست ... وحيث حصلت على درجة الدكتوراه في الزراعة وعلاج أمراض النبات بالإشعاع الذري ... وقد حدث في أثناء إحدى التجارِب أن أُصبت في رأسي ... وفقدتُ الذاكرة ... وبنوع من الهلوسة ... وعدتُ إلى القاهرة ... وكان أبي قد مات واستولى أخي «سامح» على كل شيء ... ولم يبقَ لي إلا ما تركته أمي ... وضمنه عِقد اللؤلؤ الأحمر ... ولكن أخي «سامح» أنكر وجود هذا العِقد الذي يساوي ثروةً طائلة ... حتى رأيت زوجة أخي بالصدفة تتحلَّى به في إحدى الحفلات ... فعدتُ أُطالبه به ... ونتيجةً لثورتي عاودتني حالة فقد الذاكرة والهلوسة ... ودخلتُ مستشفى المجاذيب ... وعندما خرجت أويت إلى هذه الحديقة ... وأخذت أُجري تجارِبي فيها حتى جعلتُ منها شبه غابة ... بها كل أنواع النبات في العالم تقريبًا ... ولكن أخي كان بخيلًا معي ... فلم يكن يعطيني إلا القليل ... وكان يسخر من تجارِبي ولا يؤمن بها ...

وساد الصمت لحظات، ثم مضى «نسيم» يقول: وعدت أُطالبه بالعِقد ... وقامت مشاجرة بيننا قبل سرقة العِقد بأيام قليلة ... ثم وقعت السرقة ...

قال «تختخ»: وماذا بشأن الكلب الأسود؟

نسيم: في يوم السرقة حوالي الساعة السابعة والنصف ... دخل هذا الكلب الحديقة وطاردته الكلاب الشرسة التي يربيها أخي ... وكان في انتظار ضيف أجنبي، وتضايق لوجود الكلب في الحديقة ... وهاجمت الكلاب الشرسة هذا الكلب الوديع ... وكادت تمزِّقه، وقمت بإنقاذه في الوقت المناسب قبل أن تقضي عليه ... وجاءت صاحبته للسؤال عنه ... وفوجئتُ بأخي يأمر بإنكار وجود الكلب ... وطلب مني أن آخذ الكلب ... وألقيه بعيدًا عن الحديقة ... وتظاهرت بأنني نفَّذت الأمر أمامه ... فخرجت من الباب الخلفي أحمل الكلب ... ولكني عدت بعد نحو ساعة ... وقمت بتضميد جراح الكلب ... ووضعته في الكوخ ...

تختخ: ألم ترَ شيئًا في هذه الساعة التي سُرق فيها العِقد؟ ... هل رأيت «روجر كولي» مثلًا وهو يدخل؟

نسيم: لا ...

تختخ: هل تستطيع ترتيب أوقات ظهور الكلب ... ثم حضور صاحبته ... وتعليمات أخيك ...

نسيم: آسف جدًّا ... إن ذاكرتي ضعيفة ... ولا أستطيع أن أتذكَّر هذه الأشياء بدقة ...

ارتفع نباح الكلاب ... وفجأةً سُمع صوت يزجرها فتوقَّفت ... ومرةً أخرى ظهر المهندس «سامح صديق» على عتبة باب الكوخ ... ولم تكَد عيناه تقعان على الصديقَين حتى احمرَّ وجهه ... وثارت أعصابه ... وفتح فمه ليتحدَّث ... ولكن في هذه اللحظة سمع الجميع صوت خطوات تقترب ... وحديثًا يدور ... ثم ظهر المفتش «سامي» ومعه الشاويش «علي» و«عاطف» و«نوسة» و«لوزة» ... وقال المفتش: معذرة ... وشمل بنظره كل من في الكوخ ... وقعت عيناه على الكلب الأسود النائم على فخذ الدكتور «نسيم» فقال: أليس هذا هو الكلب «مودي» التي أبلغَت صاحبته عن فقده؟

لم يُجِب أحد ... فقال المفتش: إن عندي إذنًا من النيابة بتفتيش هذا الكوخ والفيلا للبحث عن الكلب الأسود ... وسأقوم بالتفتيش فورًا ...

صاح «سامح صديق»: إنه فعلًا الكلب «مودي» يا سيدي المفتش ... لقد عثرنا عليه وقمنا بعلاجه ...

قال المفتش بصرامة: لماذا لم تُبلغوا عن العثور عليه؟

ثم التفت المفتش إلى الباب وقال: حضرة الضابط «عصام»، تفضل وزملاؤك بتفتيش هذا الكوخ ...

صاح «سامح»: لماذا يا سيدي المفتش؟ ... لقد عثرتم على الكلب ...

المفتش: سننفذ أمر التفتيش يا حضرة المهندس ...

ودخل ضابط شاب ومعه بعض رجاله ... وبدءوا في تفتيش الكوخ بدقة ... بينما جلس المهندس «سامح» وقد بدا عليه الانهيار ...

وبعد نحو نصف ساعة خرج الضابط «عصام» من الغرفة الداخلية ومعه مجموعة من الثياب والشعر المستعار ... وقال: هل هذا ما تبحث عنه يا سيادة المفتش؟

صاحت «لوزة»: نعم! ... لقد صحَّ استنتاجي ...

المفتش: إنك رائعة يا «لوزة» ... ولكن بقي أن نحدِّد الشخص الذي كان يلبس هذه الملابس ويمثل دور رجل الأعمال الإنجليزي «روجر كولي» ...

لوزة: أؤكد لك يا سيادة المفتش أنه هو الذي كتب اسمه في الورقة …

نظر المفتش إلى المهندس «سامح صديق» وقال: هل أنت مُصر يا سيدي على أن لصًّا قد سطا على الفيلا … وسرق مجموعةً من المجوهرات من بينها العِقد الأحمر؟!

اصفرَّ وجه «سامح» حتى حاكى وجوه الأموات، فقال المفتش: إنني أُفضِّل أن تقول الحقيقة يا سيدي … أو سوف أتخذ ضدك الإجراءات القانونية …

رفع «سامح صديق» ذراعه قائلًا: سأقول كل شيء يا سيدي المفتش … سأقول لك الحقيقة … وأرجو أن تكون رفيقًا بي …

قال المفتش: إنني أستمع يا سيدي …

قال المهندس «سامح» مشيرًا إلى «نسيم» … هذا الرجل يا سيدي هو أخي من أبي … وقد ورثنا معًا هذه الأرض وما عليها، وقد كان يعيش في الخارج … ولم أتوقَّع أنه سيعود … وهكذا تصرَّفت في كل شيء تصرُّف المالك … وقد كسبت كثيرًا وضاعت الثروة التي تركها أبي …

وصمت «سامح صديق» قليلًا، ثم مضى يقول: لعلني كنت طامحًا أكثر ممَّا يجب … ولكن على كل حال كان ضمن هذه الثروة عِقد نادر من اللؤلؤ الأحمر كانت قد تركته والدة «نسيم» له ضمن ميراثه … ولكني تسرَّعت وقدَّمته لزوجتي هديةً على أنه مِلكي … وعندما عاد أخي مريضًا من ألمانيا أنفقت عليه الكثير … ولكنه طالب بحقه في الميراث … وضمنه العِقد الأحمر … واضطُررت أن أقول له إن العِقد ضاع …

ولكنه ذات ليلة شاهد زوجتي تتحلَّى به وعاد للمطالبة به …

وأخيرًا فكَّرت في تدبير سرقة أقوم فيها بدور السارق …

وأسرعَت «لوزة» تقول: كما استنتجتُ بالضبط …

نظر إليها «سامح صديق» في ضيق … فقال المفتش: إن هذه الفتاة الذكية كشفت الحقيقة منذ عرفت بتفاصيل ما حدث …

تمتم «سامح صديق»: مدهش! … مدهش! …

المفتش: استمرَّ يا سيدي …

سامح: وانتهزتُ فرصة وجود مستر «روجر كولي» في القاهرة … وقلَّدتُ صوته واتصلتُ بمكتبي … ثم بمنزلي لتحديد موعد لمقابلتي …

المفتش: أي إنك كنت تأخذ موعدًا لك … من نفسك …

سامح: بالضبط يا سيدي … فقد كان موعد سفر «روجر كولي» في صباح يوم السرقة … وقلت إنني عندما أبلغكم ويكون قد سافر ينتهي كل شيء بحفظ الموضوع …

وصمت «سامح» قليلًا ... ثم مضى يقول: وهكذا أعددت ملابس تشبه ملابسه ... وعدسات زرقاء ... وباروكةً من الشعر الأشقر ... ووضعت كل ذلك في هذا الكوخ، وطلبت من أخي أن يخرج للنزهة ... وفي الساعة السابعة والنصف تظاهرت بأنني سأتمشَّى في الحديقة وجئت إلى هذا الكوخ عن طريقٍ مختصر، واستبدلت ملابسي بملابس «روجر كولي»، وأكملت التنكُّر، ثم عدت إلى غرفة المكتبة حيث قابلت السفرجي «فتحي» وطلبت منه الذهاب للبحث عن المهندس «سامح صديق»، وقمت بأخذ العِقد والمجوهرات معي ... وخرجت حيث جئت إلى الكوخ ... واستبدلت ثيابي مرةً أخرى ... ولكن حدث في هذه اللحظة أن دخل هذا الكلب الأسود إلى الحديقة وطاردته كلابي ...

وأثناء مطاردتها له اصطدم الكلب بي ... ووقعتُ على الأرض ... وأُصبت ... وأسرع هو هاربًا حيث أمسكت به الكلاب وحاولت الفتك به ... وكان «نسيم» ما يزال في الحديقة ... فأمسكتُ الكلاب، وعاد بالكلب الأسود، فطلبت منه الخروج وإلقاء الكلب بعيدًا ... ولكنه خالف تعليماتي وعالج الكلب وأبقاه عنده ...

المفتش: ولماذا حاولت التخلُّص من الكلب؟

سامح: خشيت إن حققتم في طريقة دخوله ... وفتك الكلاب به، أن ينكشف شيء من خطة السرقة ...

التفت المفتش إلى «لوزة» قائلًا: إنك عبقرية يا صغيرتي ...

قال «سامح» وهو ينظر إليها: ولكن كيف اكتشفت الحقيقة؟

ردَّت «لوزة»: لسبب بسيط ...

أولًا: إن «روجر كولي» عندما اتصل بك في المكتب لم تكن موجودًا ... وعندما اتصل بك في المنزل لم تكن موجودًا ... وفي المرَّتَين كان في إمكانك أن تقوم أنت بالاتصال على أنك «روجر كولي» ...

ثانيًا: ... إن أي واحد من المتهمين الآخرين لم يكن يعرف «روجر» ويمكنه أن يتنكَّر في ثيابه وشكله سواك أنت ... فأنت الذي رأيته ... وأنت الذي تستطيع أن تقلِّده ...

ثالثًا: ... إن «روجر كولي» لم يكن يستطيع دخول الحديقة دون أن تفتك به الكلاب ...

رابعًا: إن «روجر كولي» إذا تمكَّن من الدخول فكيف يتجه إلى المكتب؟ ... إن الزائر العادي يتجه دائمًا إلى المدخل الرئيسي ...

قال «عاطف» بغيظ: لماذا لم تقولي لنا هذا كله؟!

ردَّت «لوزة» ضاحكة: أولًا خشيت أن أكون مخطئةً فأتعرَّض لسخريتكم ... ثانيًا: إنني أحببت أن أبتكر طريقةً حديثةً لحل الألغاز ... بأن أضع النتيجة أولًا، ثم أبحث عن الأدلة لها ... وليس العكس ... فنحن في العادة نبحث الأدلة، ثم نذهب إلى النتيجة ... وهكذا كتبتُ اسم المهندس «سامح صديق» في ورقة وطلبت من المفتش ألَّا يفتحها إلا بعد أن يتعذَّر حل اللغز ... وعندما تأخَّر «محب» و«تختخ» أكثر من ساعتَين ... اتصلتُ بالمفتش وطلبت منه أن يفتح الورقة التي أعطيتُها له ليعرف المتهم الذي حدَّدته منذ البداية ...

وأكمل المفتش: وعندما قرأتُ الورقة ... طلبتُ من النيابة إذنًا بالتفتيش حتى أتمكَّن من العثور على ملابس التنكُّر ... وعلى المجوهرات المفقودة إذا أمكن ...

نظر الأصدقاء بإعجاب إلى «لوزة»، وقال «تختخ»: لقد تعرَّضنا لمواقف كثيرة حرجة، وأخطار رهيبة حتى يتحقَّق لكِ ابتكار طريقة جديدة لحل اللغز ...

فجأةً قال «نسيم»: سيدي المفتش ... إنني متنازل عن العِقد لأخي ... سوف أعود إلى ألمانيا مرةً أخرى للاستمرار في تجارِبي ... فهل يُعفيه هذا من العقاب؟ ...

فكَّر المفتش مليًّا، ثم قال: في هذه الحالة سنُوجِّه إليه اتهامًا بإزعاج السلطات دون مبرِّر، وسرقة الكلب، وعقوبتها بسيطة ... ربما الغرامة فقط ...

قام «سامح صديق» يعانق أخاه قائلًا: آسف جدًّا يا «نسيم»، آسف جدًّا. لقد كنتَ دائمًا أكرم مني ... إنك لن تعود إلى ألمانيا ... ستبقى في مصر ... وسأضع بين يدَيك كل الأموال اللازمة لإتمام تجارِبك التي يجب أن تستفيد منها مصر ... وليس أي دولة أخرى ...

بعد هذه الأحداث بنصف ساعة كان «تختخ» يدخل إلى منزله يحمل الكلب «الطانين» الأسود «مودي» ... وعندما رأته والدته صاحت به: هل أحضرتَ الكلب فعلًا؟! ...

قال «تختخ» ببساطة: وهل كنتِ تشكِّين في مقدرتنا يا أمي؟ ... إن المغامرين الخمسة لا يعرفون الفشل ...


هنداوي